Fax :91-522-2741221, 2741231 Regd. No. LW-NP/642012 To 2014 R. N. I. No. (U.P.ARA/2000/2341)

Monthly

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Vol: 57, Issue: 06

February , 2012

إعلان عن :

Arabian BOOK HOUSE

Agency Of Darul Fikr Bairuth - in India

دار الكتاب العربي

- أكبر مصدَرى الكتب العربيّة فى الهند.
- يوجد لدينا منشورات دور النشر الرائدة فى الوطن العربي.
- الوكيل المعتمد لدار الفكر ببيروت ودار المنهاج بجدّة فى الهند.
- يمكنكم إقتناء منشورات دور النشر العربية بنفس الأسعار التى تدفعونها هناك.
- يوجد لدينا مختلف أنواع الكتب فى اللغة العربيّة بما فيها العلوم الإسلاميّة مثل:

تفسير القرآن، وشروح الحديث، والفقه، وأصول الفقه، وعلوم القرآن، والحديث، والتّصوّف، والسيرة

- كما يوجد لدينا مؤلّفات فى اللغة والأدب للمؤلّفين القدماء والمعاصرين.

يمكنكم الإتصال بنا على العنوان التالي :

Arabian BOOK HOUSE

Kottakkal, Malappuram,
Kerala, India - 676 503

Email: populer_line@yahoo.co.in,
abhkottakkal@yahoo.com

الهاتف: ٦٨ ٨١ ٨٤ ٨٦ ٠٨ ٩١+، ٤٨ ٦٧ ٤٧ ٤٦ ٩٩ ٩١+

Contact No: +91 9946 47 67 48, +91 8086 84 81 68

Malappuram Road, **KOTTAKKAL**,
Kerala - 676 503, India. (Opp. Union Bank of India)
Email: populer_line@yahoo.co.in, abhkottakkal@yahoo.com
A/c No: (Arabian Book House) SBI 30955784451 (IFS SBIN0004364)

Printed & Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
(Dept.of Journalism & Publicity) at Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow. U.P.
Editor : SAEED-AL-AZAMI-AL-NADWI

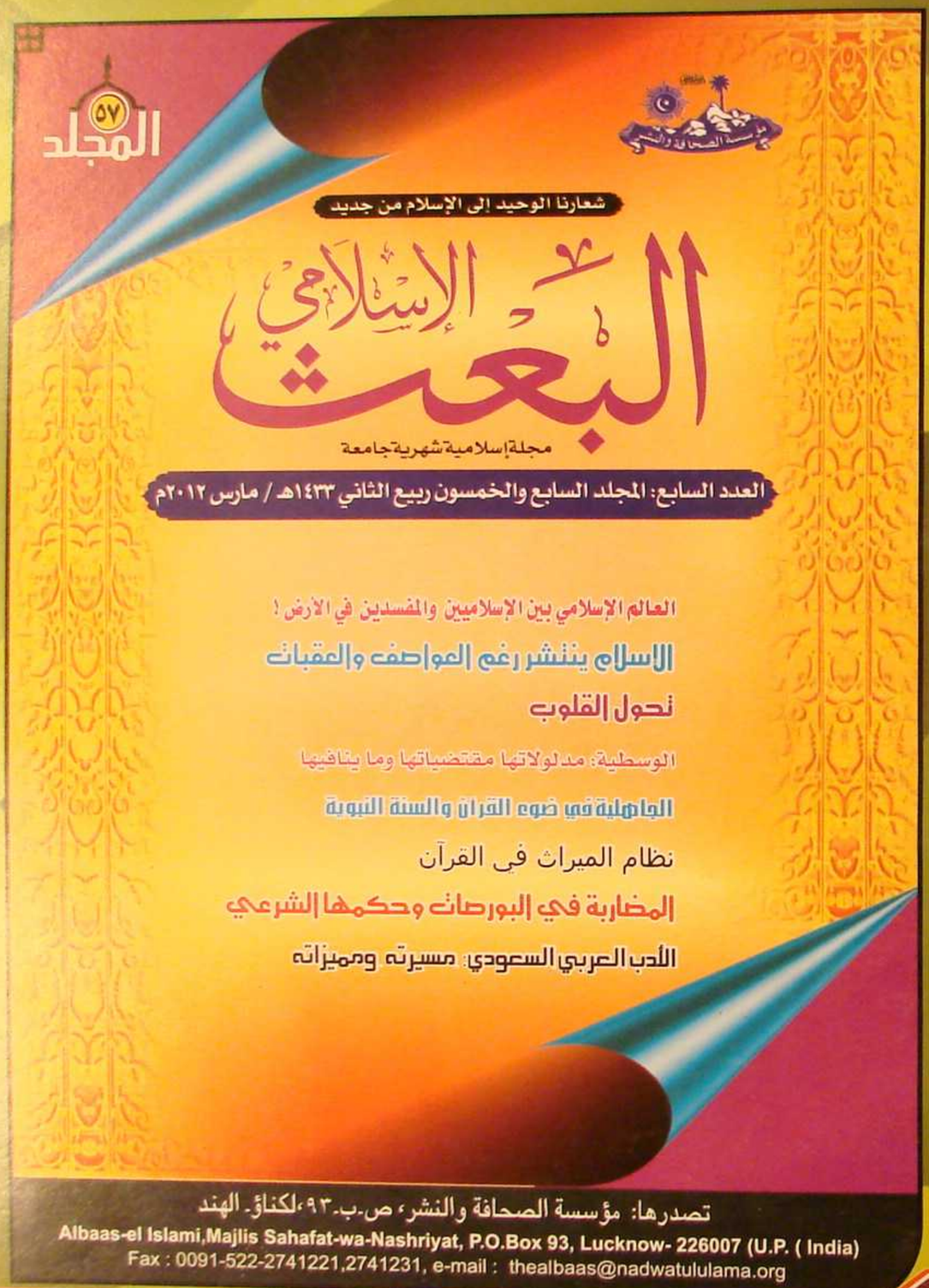

بسم الله الرحمن الرحيم

البعث الإسلامي

Vol.57 Issue.07
March 2012

ربيع الثاني ١٤٣٣هـ

مجلة إسلامية شهرية جامعة

انشأها:

فقيد الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى
في عام:١٣٧٥هـ -١٩٥٥م

المجلد ٥٧
المجلد السابع والخمسون

العدد السابع

رئاسة التحرير
سعيد الأعظمي الندوي
واضح رشيد الندوي

مساعدا التحرير:
محمد فرمان الندوي
محمد عبد الله الندوي

مسئول مكتب المجلة:
أختر سهيل

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

(أبوالحسن علي الحسني الندوي رحمه الله)

المراسلات
البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١ — ٠٥٢٢
AL-BAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Taigor Marg,
Lucknow. Pin:226007-04 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231
E-mail:nadwa@sancharnet.in

العبقري العصامي!

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده، وما ينفع عملياً، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة، وفي عصر الثورة على الدين، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين، ومن النتائج الخاطئة، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون.

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق، وكقرين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية فيأخذ منه ما فاته من التجارب، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق، وقوى الروحانية والمادية - ويضيف إلى المدارس الفكرية، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع.

هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم، وهذا هو العملاق حقاً الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام.

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية في الهند

ثلاث مائة ٣٠٠/٠٠روبية
ثمن النسخة: ٣٠/٠٠روبية

في العالم العربي
وفي جميع دول العالم:
٥٠ دولاراً بالبريد الجوي
اما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية

المجلة غير ملتزمة
بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات:

ترسل الاشتراكات بالشيك:
باسم "البعث الإسلامي"
A/C 10863759846
(SBI LKO.MAIN BRANCH)
وذلك بالعنوان التالي:

مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS SAHAFAT WA NASHRIYAT
NADWATUL ULAMA P.O. BOX. 93,
LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)

محتويات العدد

الافتتاحية:
العالم الإسلامي بين الإسلاميين والمفسدين في الأرض ! — سعيد الأعظمي الندوي — ٣

التوجيه الإسلامي:
تحول القلوب — الدكتور محمد بن سعد الشويعر — ٧
الوسطية: مدلولاتها مقتضياتها وما ينافيها — الأستاذ محمد علاء الدين الندوي — ١٠

الدعوة الإسلامية:
الجاهلية في ضوء القرآن والسنة النبوية — الأستاذ محمد مبين سليم الندوي الأزهري — ١٩
القصص القرآني: خصائصه وأهدافه — الأستاذ محمد عابد الأنصاري — ٢٧

الفقه الإسلامي:
نظام الميراث في القرآن — الدكتور محمد عناية الله أسد سبحاني — ٣٣
المضاربة في البورصات وحكمها الشرعي — الدكتور خورشيد أشرف إقبال الندوي — ٤٢

دراسات أدبية ولغوية:
الأدب العربي السعودي: مسيرته ومميزاته — الدكتور عرفات ظفر — ٥١
لغتنا العربية لغة المستقبل — الدكتور أ. ن. عبد الجبار — ٥٩

حول الأدب ورجاله:
د. محي الدين الألوائي ومساهماته... — الدكتور جمال الدين الفاروقي — ٦٤
فن المقامات لدى علماء الأدب والنقد — الأستاذ مهدي حسن الندوي — ٦٩

قراءة في كتاب:
انطباعات حول: كتاب "العقلانية والإسلام" للعالم الرباني الشيخ أشرف علي التهانوي — الأستاذ عبد الرشيد الندوي — ٧٥

صور وأوضاع:
الإسلام ينتشر رغم العواصف والعقبات — الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي — ٧٩

من كنوز القرآن الكريم:
مفردات القرآن للعلامة السيد سليمان الندوي — محمد فرمان الندوي — ٨٣

أخبار علمية وثقافية:
حفلة تكريم في الجامعة الملية الإسلامية — قلم التحرير — ٨٦
هيئة التعليم الديني تعقد مؤتمرها التعليمي — محمد فرمان الندوي — ٨٧

إصدارات حديثة:
ردود على اعتراضات موجهه إلى الإسلام — قلم التحرير — ٨٩
محاورات في الدين — ٩٠
أبو محمد المكي بن طالب القيسي: حياته وآثاره — ٩١
الحلب الطبيعي في المنظور العلمي والديني — ٩١

إلى رحمة الله تعالى:
الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس في ذمة الله — ٩٢
الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس داعية وأديبا — بقلم: الأستاذ صاحب عالم الندوي — ٩٣
الأستاذ السيد محمد مسلم الحسني إلى رحمة الله — قلم التحرير — ٩٧
الأستاذ السيد أحمد علي الحسني في ذمة الله تعالى — ٩٨
الأستاذ د. جاويد أختر الندوي إلى رحمة الله تعالى — ٩٩
جدة الأستاذ آفتاب عالم الخيرآبادي الندوي في ذمة الله تعالى — ٩٩
رحيل الأخ الفاضل وليد السبع إلى رحمة الله تعالى — ١٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية

العالم الإسلامي
بين الإسلاميين والمفسدين في الأرض !

لو لا جماعة الإخوان الذين حملوا راية الحق والصدق والعدل منذ أول يومهم، لا على أرض مصر وحدها، ولكن على المستوى العالمي، ولولا شفافية الأخلاق ونزاهة المعاملات الإنسانية كانت ميزتهم، التي عُرفوا بها في جميع الظروف والأحوال، لولاهم كذلك لما كانت نتائج المرحلة الثانية للانتخابات الحالية في مصر راجحة كفتها في حقهم، ولما فازوا بنسبة ٤١٪ من مقاعد مجلس الشعب، وذلك إن دلّ فإنما يدل على تفاعلات الجماهير بالمبادئ الإنسانية التي يتبنونها والتي هي مفقودة في عالم اليوم على وجه عام، فالناس يبحثون عن القيم العليا والمثل الإنسانية المثلى، لكي يعيشوا تحت ظلال العز والسعادة، متجانبين جميع الهموم والأحزان ومتفرغين لأداء المسئولية بأمانة و دقة .

قد تنبأ بذلك أحد محرري الشؤون الدولية في مجلة "أمريكن تائمس" وهو بوبي جوش: "الإخوان في الوقت ذاته يتعاملون بحكمة وحنكة، فقد عرضوا تشكيل ائتلاف واسع مع الليبراليين والانتخابيين في الانتخابات، ووعدوا بأنه لن تكون محاولة لاختطاف عملية الإصلاح الدستوري بعد ذلك، إن الدستور الجديد يجب أن يكون مكتوباً من قبل جميع المصريين، كما يقول الدكتور عصام العريان أحد قادة الإخوان في مصر: " لا ينبغي لمجموعة واحدة أن يكون لها صوت أقوى من الآخرين" وهذا يجعل الإسلاميين يقدمون نظرة مسئولة وتصالحية، ومن المرجح أن يكون لهذا أثر جيد مع الناخبين".

وقد تحققت هذه النبوة في مصر، حيث فاز أكبر حزب البلاد الديني والسياسي وهو جماعة الإخوان باسم حزب الحرية والعدالة الذي فاز بنتائج باهرة، كما أن جماعة النور التي تمثل المذهب

السلفي فازت في الانتخابات الأخيرة بالموقع الثاني، وحزب الوفد فاز بالموقع الثالث، ومع ذلك بدأت عقارب المؤامرات السرية والمخططات الهدامة تتحرك بين زعماء وقادة "الإسلافوبيا" الذين يتآمرون سراً وجهراً ضد الجماعات الإسلامية، التي فازت بنسبة عالية في المرحلة الثانية للانتخابات، ويخططون لإسقاط نظام العدل والائتلاف في مصر، والتحالف اليهودي الصليبي ضد مصر والوطن العربي، ويرصدون لذلك تحقيقاً لهذا الحلم رصيداً هائلاً من الوسائل المالية، والقوى الطاغوتية، كما قد نشرت مجلة "المجتمع" الكويتية جزءاً من هذا الواقع المشئوم في عددها (١٩٨٤) بعنوان: ثلاثة مليارات دولار لمواجهة صعود الإسلاميين بمصر.

"قال عضو بمجلس الشعب المصري: إن الحكومة الصهيونية رصدت ثلاثة مليارات دولار لتنفيذ مشروع في جنوب السودان لمواجهة أي تحالف إسلامي بين مصر والسودان، وأوضح العميد ياسر سلومة أن "الكنسيت" الصهيوني قد يصادق قريباً على المشروع وستدخل هذه المشروعات حيز التنفيذ بعد افتتاح السفارة الصهيونية، في جنوب السودان.

وأشار سلومة إلى أن الحكومة الصهيونية أبرمت عدة اتفاقيات سياسية واقتصادية وعسكرية، شملت قطاع الزراعة، والغابات والنفط والتعدين والطرق والاستخبارات والصحة مع دولة جنوب السودان، بهدف محاصرة مصر والضغط عليها من خلال مياه النيل إذا شكل الإسلاميون الحكومة في مصر، ورفضوا التعاون مع الكيان الصهيوني".

وخبر آخر منسوباً إلى المفكر القبطي "بولس رمزي" ذكر فيه تصريحات بطرس أفبولا كاهن كنيسة القديسين في الإسكندرية، التي تهدف إلى إثارة الأقباط واستفزاز التيار الإسلامي، وقد هدد فيها باستعداد المسيحيين لسفك الدماء والاستشهاد لو حكم الإسلاميون مصر، إن هذا القس وأمثاله يسعون إلى تصوير أن الأقباط مضطهدون ومهددون بالإبادة الجماعية من قبل الإسلاميين (المصدر نفسه).

كما أن "توني بلير" رئيس وزراء بريطانيا السابق دعا الدول الغربية إلى دعم الليبراليين والديمقراطيين في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ومواجهة الإسلاميين.

وفي مصر شبكة تتولى أعضاؤها نشر الفوضى والكذب والوحشة بين الشعب والجماهير، وهم كما يسمون (الأناركة الفوضويون) ليس لهم عمل إلا هدم الدولة وتفكيك الجيش أو إجهاض ثمار الثورات العربية، وهناك منظمات تتلقى ملايين الدولارات من بعض الجهات السرية المعادية لتفشيل نتائج المرحلة

الثانية للانتخابات ووضع العقبات في طريق الإسلاميين وعرقلة مسيرة الحكم العادل في مصر.

وقال شيخ الأزهر وهو يخاطب شباب ثوره ٢٥/ يناير: "التاريخ سيكتب أنكم أنقذتم مصر ولم تسلموها للفوضى".

مما يؤسف له أن وفد جامعة الدول العربية الذي قام بزيارة سوريا، لم ينجح في مهمته، وما زالت الجرائم البشعة تمارس ضد الشعب السوري المنعزل، وإن الشباب المسلم لا يبخل بإراقة دمائه في سبيل صد الظلم والطغيان، إن بعثة المراقبين العرب التي تمثل جامعة الدول العربية في سوريا تجامل للسلطات السورية المستمرة بقمع المتظاهرين من نحو عشرة شهور، وهي مأساة إنسانية خبيثة تساند جميع القوى المتربصة بالدوائر للشعب المسلم السوري.

النظام السوري المجرم يواجه الشعب السوري بمزيد من القتل والبطش، وإقامه مجازر جديدة كل يوم، وجامعة الدول العربية وقفت أمامها مكتوفة الأيدي، كأنها أعطت شرعية قانونية لهذه الجرائم الوحشية.

وإنني إذ أكتب هذه السطور أقرأ في الجرائد المنشورة اليوم في الهند (٢٠١٢/١/١٧م) أن بشار يعلن العفو العام عن الثائرين عليه والمتظاهرين ضده، فقد أفادت وكالة الأنباء السورية الرسمية "سانا" ببيان أصدره الرئيس بشار جاء فيه: "يُعلن لجميع أفراد الشعب ممن قاموا ضد شرعية القانون باستعمال حق حرية الرأي أثناء التظاهرات ضد الحكومة بالعفو العام، وليس فيه تفريق بين من أشهروا السلاح ضد الدولة والجيش، والذين قاموا بالثورة والذين انشقوا عن الجيش والثائرين في الدوائر الحكومية من الضباط والعاملين، وحتى اللائذين بالفرار سواء في داخل الدولة أو خارجها، يشملهم جميعاً هذا العفو العام، وقيل في الإعلان: إنه لا مانع عن تنظيم مسيرات الأمن الاحتجاجية في داخل البلاد، هذا وفي جانب آخر، رفضت جميع أحزاب المعارضة إعلان العفو العام، وهي تقول: إن ذلك العفو العام لا يعني إلا تجريم الثائرين والمتظاهرين واتهامهم بإثارة الثورة الإجرامية ضد الدولة والرئيس، كما أن عضو المجلس القومي السوري كمال لبواني عبر عن إعلان بشار بالعفو العام، بهزيمته النكراء، وقال: إن الرئيس باسم حق حرية الرأي يريد أن يثبت أن المتظاهرين الآمنين ليسوا إلا شرذمة من المجرمين.

وتفيد الأخبار الآتية من بيروت بواسطة "وكالة رائتر" أن الأمين العام للأمم المتحدة بانكي مون، طلب من الرئيس السوري وقف إطلاق النار على المتظاهرين وقتل الجماهير بدون تأخير، كما قد قدرت الأمم المتحدة عدد

المقتولين خلال الثورة الجماهيرية أكثر من خمسة آلاف شخص، كما أن عدد قوات الأمن المقتولين يبلغ إلى ألفي رجل، وقال بانكي مون في مؤتمر صحفي أنه كرر الرجاء من الرئيس السوري أن يوقف عمليات القتل لشعب بلاده، وقد وصف الوضع في سوريا قائلاً: إنه غير مقبول، و دعاء إلى معالجة الأزمة بطريق جاد منسق .

أما بلدان الثورة الأخرى فلا يزال الوضع متأزماً فيها، رغم فوز الإسلاميين في الانتخابات وتأييد الجماهير لهم، إلا أن هناك تصاعداً في أزمات تآمرية من خلال المفسدين في الأرض، والمسلمون والمواطنون كلهم يعانون منهم عداء وفتنا وحيلولة دون استقرار الوضع واستتباب الأمن والسلام .

يقول الله جل اسمه :

{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [سورة الجاثية: ٢١] .

ولعل رسول الله صلى الله عليه وسلم تنبأ مثل هذه الأوضاع المليئة بالفتن والمحن فأمر أصحابه بالمبادرة بالعمل الصالح، وقال :

"بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا ، وَيُمْسِي كَافِرًا ، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا".

(رواه مسلم عن أبي هريرة)

ويقول الله سبحانه :

{وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [سورة الأنفال: ٢٥ـ٢٦] .

وجاء فيما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم :"مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنْ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً" (كتاب الفتن: ٧٠٥٣) .

وعن أبي موسى الأشعري قال النبي صلى الله عليه وسلم:"إِنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ أَيَّامًا يُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ وَيَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرْجُ وَالْهَرْجُ الْقَتْلُ" (رقم الحديث : ٧٠٦٤) رواه البخاري.

(سعيد الأعظمي الندوي)

١٤٣٣/٢/٢٢هـ

٢٠١٢/١/١٧م

التوجيه الإسلامي

تحول القلوب

بقلم: سعادة الأستاذ الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة "البحوث الإسلامية" الرياض

تسمّي العرب القلب بملك الجوارح، لسيطرته عليها، كما يسيطر الملك على أطراف مملكته، وفي تنظيم شؤون رعيته، والقلب بما أودع الله فيه من قدرة في التحكم على تغيير أعمال الجوارح، إلى الاتجاهات الحسنة بصلاحه، أو المسارات السيئة بفساده، كما يوجه الملوك والرؤساء شؤون رعاياهم، ويصرفون ما تتعلق ببلادهم، بما يصدرون من تعليمات، وما يرسمون من أنظمة، وما يهيأ من أجهزة للتنفيذ والمتابعة، رغبة في البحث عن الأحسن متى صلحوا وأخلصوا، لذا اعتبر علماء الإسلام المنافق وصاحب الشهوة مريض القلب، وقد أثبت مكانة القلب والدور الفاعل الذي يرتبط به، في توجيه سائر أعضاء الجسم، حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جاء فيه «أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ».. واستنادا على هذا، كان الناس يحرصون على هذا الدعاء بقولهم: اصلح الله قلبك .. لأن بصلاح هذه المضغة تصلح أعمال صاحبها .

فهذه المضغة رغم صغر حجمها، وضآلة الحيز الذي تحتله في جسم الإنسان، فإن الماديين يرونها من زاوية، غير ما يراها الشرعيون، لأن واقع عملها الظاهر لمن يدرس علوم الإنسان بالطب والتشريح يبين له سيطرة القلب على الدورة الدموية في الجسم البشري، وأهمية عملية هذا القلب في ضخ الدم، قبضا بالسحب، ودفعا بالتوزيع .. وبتوقف حركات القلب تتوقف الحياة في صاحبه .

وهذه العملية خلقها مسميات علمية عديدة، عرفوها بالتجربة، واهتموا بمسيرتها و وظيفتها بالمتابعة، ويعرف من ذلك الأطباء: ضغط الدم انخفاضا (LOW BLOOD PRESSURE) وضغط الدم ارتفاعا(HIGH BLOOD PRESSURE)، وما يعنى هذا في صحة الجسم، وما ينبغي له من علاج، ومثل ذلك ما يتعلق بدقاته ونبضاته، وعلاقة هذا بهبوط القلب .

والأطباء برصدهم لأعمال القلب اتضح أمامهم أشياء كثيرة، بانت في تسابقهم العلمي وبحوثهم المتواصلة حتى وصلوا إلى زراعة قلب تالف، بقلب سليم، قد يكون قلب شاب أو امراة، أو من فئة عبادتها وعقيدتها، ولغتها تغاير من زرع له القلب .

لكن القلب الجديد يزاول الأعمال الظاهرة للأطباء الماديين، أما الأعمال الخفية كالعقيدة والعلوم الدينية وما استوعبته الذاكرة من أمور خاصة وعامة وعلمية فإنها تعود لصاحبها الأول، ولم تذهب مع قلبه القديم الذي استبدل منه

.. وهذا سر من الأسرار التي عجز العلم الحديث عن الوصول إليها، لأنهم كما قال سبحانه : {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} [سورة الروم: ٧] فأي موضع التعقل عندهم مع أن الله قال: {فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} [سورة الحج: ٤٦] لكن أبسط نتيجة وصلوا إليها: أن توقف حركة القلب تعنى توقف حركة الجسم كله، وبالتالي يفقد الإنسان الحياة .

وهذا الدور نسميه: الدليل التعليمي النقلي المادي .

والشعراء يأخذون من حركة القلب استنتاجاً بأنه يخبر الإنسان عن ماهية الحياة ومدتها في مثل قول الشاعر :

دقات قلب المرء قائلة له ... إن الحياة دقائق وثواني

وهذا يدخل في مجال الحكمة والوعظ حتى يستعد لآخرته، قبل توقف هذه الحركة في قلبه حيث تنتهي حياته، لكن الدليل النقلي من شريعة الإسلام، يرسخ أموراً عقلية أمكن من الماديات، حيث تتقلب الحركة والانفعالات في الجسم كله، بتأثير هذا القلب، حباً أو بغضاً رقة أو قسوة، خضوعاً أو تجبراً، وغير هذا من الأحاسيس والانفعالات المتضادة .

هذه الأمور تتحول إلى أمور تؤثر في انفعالات الجسم وعمله، وتسيطر على أعماله المحسوسة وتصرفاته الصغيرة والكبيرة، ولذا جاء في الدعاء المأثور: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» وتحول القلب من حالة إلى حالة، سواء من حسن إلى سوء، أو من سوء إلى حسن، أو من حسن إلى ما هو أحسن منه، أو غير ذلك .

كل هذا له مؤثرات ومواقف.. وإن من فضل الله على عباده، أن الأمر الوجداني والعاطفي في القلب لا يؤثر على عمل القلب اليومي، ووظيفته الدائبة في توزيع الدم على أنحاء الجسم، سواء كان صاحب القلب نائماً أو يقظاً، أو مسروراً أو بائساً، وسواء كان غنياً أو فقيراً.

هذه التحولات القلبية السريعة وراءها حكمة بالغة، يقدرها الله سبحانه، لأنه سبحانه هو مقلب القلوب والأبصار، ويعلم ما تصلح به أحوال العباد، وما ستؤول إليه أفعالهم ومصايرهم، وهذا يقترب من أسرار الروح في الإنسان وفي حياة كثير من المسترشدين، نماذج من أعمال ساقتهم إلى طريق الخير، ومواقف غيرت مجرى حياتهم، فصرفتهم عن مسارب الردى، والضلالة، وقادتهم بتوفيق الله إلى تلمس المسالك المودية إلى الأمور النافعة، والأعمال الجيدة ليرتادوا لأنفسهم منهجاً مغايراً، لما ساروا فيه من قبل، حيث أعانهم الله على معرفة الدرب الآمن، فهيأ لهم قرناء صالحين، أوصلوهم إلى بر الأمان، وهذا من هداية الله التي قال الله عنها لرسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم : {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [سورة القصص: ٥٦]

فقد يكون الإنسان ذا ذكاء وعقل راجح في أمور دنياه، يستشيره الآخرون، في المهمات المتعددة فيمحضهم نصحه ويرشدهم لما فيه منفعتهم، ويتبعون رأيه، فيحققون المطالب التي يرتجون وينجحون في مهماتهم .

لكنهم هم وهو خاسرون في أمور الآخرة لأن الله لم يرد لهم ذلك.. وهذا من أسرار القلوب وتعقلها، وموطن الذكاء والفطنة وأين مستقره في جسم الإنسان.. وقديما قال الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن ... فكل قرين بالمقارن يقتد

فالقلوب السليمة تنقاد بالكلمة الطيبة وبالقدوة الصالحة.. وبالتوجيه الرقيق، ومن نشأ في بيئة صالحة، فإنه كالفرس الأصيل يسهل قياده وسياسته وإن صعب أمره في بداية الأمر، إلا أنه يسلس فيما بعد ويستجيب، ولذا صارت الأعمال بالنيات والنية موطنها القلب: خيراً أو شراً، نسأل الله السلامة من كل شر يفسد القلوب .

من علم ابن عباس :

جاء في كتاب: مقالات الأدباء لعلي بن هذيل: ان ملك الروم بعث إلى معاوية يسأله عن هذه المسائل : رجل سار به قبره، وعن رجل لا قبلة له، وعن خسمة أكلوا في الدنيا، وحيوا لم يخلق واحد منهم في رحم، وعن شيء ونصف شيء ولا شيء .

وبعث بوفد يسمعون الجواب عنها، فاستظرهم معاوية وبعث إلى ابن عباس يسأله عنها، فقال ابن عباس: أما من سار به قبره، فيونس حين التقمه الحوت، وأما من لا قبلة له، فمن صعد فوق الكعبة، فلا قبلة حتى ينزل، وأما الخمسة أنفس الذين أكلوا في الدنيا، وعاشوا لم يخلق واحد منهم في رحم، فآدم وحواء، وكبش إبراهيم أخرجه الله من الجنة، وناقة ثمود أخرجها الله من صخرة صماء، وعصا موسى ألقاها في يده فإذا هي حية تسعى، انقلبت بإذن الله، والتقمت ما ألقى السحرة .

وأما الشيء، فالرجل العاقل العالم ترد عليه الأمور، فيدبرها بعقله، ويمضيها بعلمه، وأما نصف الشيء، فالرجل الممضي لما علم، المتثبث فيما جهل، يرد عليه أمور يعجز عنها علمه، ويقصر فهمه، فيلجأ إلى ذوي العقول، فيستشيرهم فلا يشتشير قواه، ولا يتبع هواه، وأما لا شيء فالرجل لا علم له، ولا عقل ترد عليه الأمور فيتبع فيها هواه، فيحل فيها رداه، فلا تلقاه إلا عاثراً ولا تجده إلا بائراً.

فأخبرهم معاوية بذلك فقالوا: ما خرج هذا إلا من أهل بيت النبوة، فأتوا ابن عباس، فقال : أنتم أصحاب المسائل؟ قالوا: نعم ! قال: سألتم فأجبناكم، فهل تجيبون إن سألناكم؟ قالوا: سل، قال: أخبروني عن موضعين أحدهما: سهل، والآخر جبل، السهل لم تطلع عليه قط شمس إلا ساعة من الدهر، والجبل رفعه الله في الأرض، بلا عمد يمسكه ولا سبب يحبسه، قالوا: مالنا علم بذلك، قال: السهل: «منفلق» منفرق البحرين، لما فرقه الله سبحانه لموسى لم تصل إليه شمس إلا في تلك السنة بل الساعة، والجبل هو الذي نتقه الله عزوجل، فوق بني إسرائيل كأنه ظلة [ص: ١٠٦ـ ١٠٧] .

الوسطية : مدلولاتها، مقتضياتها وما ينافيها

الأستاذ محمد علاء الدين الندوي
وكيل كلية اللغة العربية وآدابها جامعة ندوة العلماء لكناؤ (الهند)

لم يكتف الإسلام بأن ينشيء فرداً صالحاً بنفسه ولكنه سعى إلى تكوين أمة تحمل رسالة الله إلى العالمين، وتشيع رحمته العامة في الناس، سعى إلى أن يهيئ جوا إسلاميا يعيش فيه الفرد المسلم والأمة الإسلامية ملتزمة بالإسلام عقيدة وعبادة، ومنهجا شاملا، أراد الإسلام توحيد صفوف المعبود، وتوحيد العابدين، فسمى المسملين "أمة وسطاً" ولم يسمهم عربا أو عجما، بيضا أو سودا، شرقين او غربين، بل سماهم أمة وسطا، أخرجت للناس لتهدي الناس، وتخرجهم من الظلمات إلى النور.

فكلمة "أمة" توحي الوحدة، والتضامن، وترفض التفرق والتنازع {وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} [المؤمنون: ٥٢].

وعوامل وحدتها عديدة، إذ يجمعها تصور الألوهية الشامل، ويجمعها كتاب الله الخالد، وتجمعها شريعة الله الواحدة، وتجمعها وحدة المنهج والغاية، وتجمعها وحدة المصير المشترك، فوحدتها وتلاحمها وانسجامها فريضة وضرورة يوجبها الدين.

لو سأل سائل، لماذا الإسلام دين الوسطية، فيجاب عنه، إن الإسلام دين الوسطية لأنه دين الفطرة {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الروم:٣٠].

وقد أجمع العلماء على أن المراد من الآية الإسلام كما سئل شيخ الإسلام ابن تيمية فقال : الصواب أنها فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهي فطرة الإسلام، وهي الفطرة التي فطرهم عليها يوم قال: {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى} [الأعراف:١٧٢]. (١)

وقال: الرسل بعثوا لتقرير الفطرة وتكميلها، لا لتغيير الفطرة وتحويلها (٢).

ولو سأل سائل لماذا الإسلام دين السلام، فيجاب عنه: الإسلام دين السلام لأنه دين الوسطية، والوسطية تعنى العدل والخيار، والقسط، والقسطاس المستقيم، والخيرية، والفضيلة، بلا نقص ولا تقصير، وبلا تحيز ولا حياد وبلا إفراط وتفريط، فالوسطية سبب، والسلام نتيجه، وكما أن الإنسان واسطة العقد في هذا الكون كذلك الإسلام واسطة العقد في عالم الأديان والملل، قال تعالى :{وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ} [الرحمن: ٧. ٨]

والحقيقة التي لا مراء فيها أن هذا الكون بما فيه من حيوان ونبات وجماد يخضع لقانون التوازن والتعادل، وبكون الإنسان كائنا ماديا يعيش بهذا التعادل أيضا، ولا غرو أن هذا القانون ينطبق على العالم المعنوي والروحي، كما أعلن الله سبحانه تميز هذه الأمة لهذا التوازن والعدل، والخيرية والوسطية، فقال : {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } [البقرة: ١٤٣].

تميزت الأمة بالمنهج الوسط بين الغلو والتقصير، وبالمنهج العدل بين الإفراط والتفريط، تميزت بالصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين، أما الأمة الوسط فهم العدول الأخيار، لأن الله جعل هذه الأمة الوسط شهداء على الناس، والشهادة لا تقوم إلا بالعدل، ولا تقبل هي إلا من العدل، وعلى هذا دل القرآن والسنة، وجاء به أهل المعرفة والبصيرة (٣).

ونقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تفسير الوسط بالعدل فيما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه في حديث طويل قال : «الوسط: العدل، فتدعون، فتشهدون له بالبلاغ، ثم أشهد عليكم». (رواه البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجة من طرق عن الأعمش) (٤).

فالعدل، والتوسط، والتوازن، كلمات متقاربة المعاني، يقول زهير:

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم
إذا نزلت إحدى الليالي العظائم

وقال المفسرون في قوله تعالى {قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ} [القلم: ٢٨] أي أعدلهم، وقال أبو السعود المفسر الشهير: الوسط في الأصل اسم لما تستوي نسبة الجوانب إليه كمركز الدائرة، ثم استعير للخصال البشرية المحمودة، لكون تلك الخصائل أوسط الخصال الذميمة المكتنفة بها طرف الإفراط والتفريط (٥).

وقال الإمام الطبري: أرى أن الله تعالى إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى... ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود... ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه وأحب الأمور إلى الله أوسطها (٦).

وقال الإمام محمد عبده: إن المسلمين خيار عدول لأنهم وسط، وليسوا من أرباب الغلو في الدين المفرطين، ولا من أرباب التعطيل المفرطين، فهم كذلك (وسط) في العقائد، والأخلاق، والأعمال، لأن الوسطية واسطة بين الإفراط والتفريط، ولأن خير الأمور أوسطها، ولأن الحسنة بين السيئتين، فمن جانب الإفراط والتفريط توسط واهتدى، وقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى رجل سأله عن القدر بعد ما أوصاه بلزوم طريق السلف: قد قصر قوم دونهم فجفوا وطمح عنهم قوم فغلوا، وأنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم (٨).

قال ابن القيم :"دين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه كالوادي بين الجبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له، فالغالي فيه مضيع له، هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد (٩) .

فكل أمر من أوامر الإسلام مبنى على العدل، ومرعي بين الحقين؛ حق الروح، وحق الجسد، لأنه دين الفطرة السليمة، والطريقة القويمة المتزنة، يجمع بين مصالح الدنيا والاخرة، وبين مصالح الروح والجسد، فهو دين سعادة وسيادة، دين أخلاق وسياسة، فمن ادعى عزل الدين عن الدولة فقد كذب وأبى، ومثال الغلو والتقصير، هو أن اليهود أحرص الناس على الحياة والمادة، كما وصفهم الله تعالى بقوله :{وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ} [البقرة: ٩٦] .

وهناك نصارى وصف الله زيغهم وانحرافهم ومبالغتهم في التدين والالتزام بالرهبنة قائلا: {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا} [الحديد :٢٧] .

ثم وصف الله بين هذين الانحرافين وبين هذين التطرفين من أعطى كل ذي حق حقه، ولم يضيع حظه من دنياه، واحسن إلى عباد الله كما أنعم الله عليه، فقال: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} [القصص: ٧٧].

ونهى عن الإفراط في حب الدنيا والانغماس في ملذاتها فقال: {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ} [الحديد :٢٠] ، كما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التشديد على النفس والرهبنة، فقال :«لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِى الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارِ (رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ) » (١٠).

من حكمة الله أنه اختار هذه الأمة لمهمة اختصها بها من دون الأمم، وهي الشهادة على الأمم كلها، والزعامة والقيادة للبشرية كلها، فهذه الوسطية تقتضي من الأمة ألا تعيش لنفسها فقط، ولا لداخل ذاتها ومصلحتها فقط، ولكنها خلقت لتكون للأمم رائدة، لتكون للبشرية شاهدة بالحق، تشهد على المفرطين بالتعطيل قائلين:{ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر} وتشهد على المفرطين بالغلو في الدين كالروحانيين من النصارى الذي أخلدوا إلى اللذات، وارتكسوا في الشهوات العارمة، وحرموا أنفسهم التمتع بحلال الطيبات، وخرجوا عن جادة الاعتدال .

ثم كون هذه الأمة وسطا منوطا بأن مصدر الفضائل والرذائل وتحديدها هو الله، وليس متروكا للبشرية، كما هو مرتبط باتباعها لسيرة الرسول

الكريم صلى الله عليه وسلم ومنهج حياته الأكمل الأشمل الأوسط، فلو حافظت هذه الأمة على هدي الرسول صلى الله عليه وسلم الجسدي والروحي، واستقامت على نهجه القويم، وشهدت على الناس بضوء سيرته الطاهرة حافظت على وسطيتها، أما إذا انحرفت عن جادته، وحادت عنها بابتداعها تقاليد أخرى، أو حذت حذو المبتدعين والمنتحلين، والمتعمقين، أو المنتطعين، خرجت عن الوسطية وانضمت بأحد الطرفين، يقول الدكتور وهبة الزحيلي :

" ومن غايات هذه الوسطة وثمرتها أن يكون المسلمون شهداء على الأمم، ويشهد الرسول على أمته لأنه بلغهم شرع الله المعتدل، وأنه كان إماما مقسطا، وقدوة حسنة، ومثلا أعلى في الوسطية، فلا يحيدون عنها، فمن حاد عنها شهد عليه الرسول بأنه ليس من أمته، وبذلك خرج من الوسط إلى الانحراف (١١) .

وقد اقتضت هذه الوسطية أن يكون الإسلام حنيفياً، سمحاً لا حرج فيه، يسراً لا عسر فيه، فجعل الله من وظائف رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم رفع الآصاء والأغلال الواقعة بالأمم من قبلنا، فقال عز من قائل: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ}[الأعراف: ١٥٧] .

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه جابر بن عبد الله : "إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا" (١٢) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ألطف الناس في دعوته وأرفق الناس بالناس في سلوكه، وأحكم الناس في قيامه بالدعوة كما قال : "أن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف" (١٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم:"إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه" (١٤) .

ومن مقتضيات الوسطية السماحة والحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، وخاصة في نطاق الدعوة إلى الله الأشمل، ونشر الدين الحنيف الأكمل .

والوسطية دليل على استقامة المنهج، وبتعبير القرآن الكريم "سواءالسبيل" و"الصراط المستقيم" صراط الذين أنعم الله عليهم ، فالخط المستقيم إنما يكون وسطا بين الطرق الجائرة، وبعيدا عن الانحراف والزيغ .

والوسطية دليل على الخيرية والفضيلة والتميز، وأفضل حبات العقد واسطته، ورئيس القوم متوسطهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطا في قومه، وأشرفهم، كما هي دليل على الأمان، لأن الوسط دائما

يكون محروساً محمياً كما قال الشاعر:

كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت
بها الحوادث حتى أصبحت طرفا

كذا حال الدين الوسط، والدين الوسط بين الأطراف الجانحة، والجوانب الزائغة.

وكون الشيء في الوسط دليل على قوته، كمرحلة الفتوة والشباب بين مرحلتي ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة، وكضوء الشمس في رابعة النهار بين الطلوع والغروب.

والوسطية تمثل مركزية الوحدة الدائرة ونقطة الانطلاق والتمركز كالكعبة المشرفة حيث تلتقي عندها القوافل من كل حدب وصوب، ويأتي إليها الناس من كل فج عميق (١٥).

وقد تجلت هذه المعاني كلها وتمثلت في وسطية الإسلام:

تجلت هذه الوسطية في الاعتقاد والتصور، فهو وسط بين معتقدات الخرافيين الوهميين الذين يؤمنون بكل شيء ويخضعون أمام كل شيء، وبين الملحدين الذين لا يؤمنون بالله البتة. أما الإسلام فدائما يدعو إلى الإيمان بالدلائل القاطعة: والبراهين الساطعة حتى إنه يطلب البرهان من المنكرين الجاحدين :{وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} البقرة: ١١١].

وهو وسط بين الماديين الذين لا يؤمنون بما وراء الغيب، ولا يستجيبون لصوت الفطرة، وبين الروحانيين والاشراقيين الذين يهيمون في عالم الأشواق، ويحاولون الخلاص من هذا العالم الشرير حسب زعمهم.

يقول سيد قطب: "أمة وسطاً في التصور والاعتقاد لا تغلو في التجرد الروحي، ولا في الارتكاس المادي، إنها تتبع الفطرة الممثلة في روح متلبس بجسد، أو جسد تتلبس به روح، وتعطي لهذا الكيان المزدوج الطاقات حقه المتكامل من كل زاد (١٦).

تجلت هذه الوسطية في العبادات وفي شعائر الإسلام من بين أديان العالم الأخرى كالبوذية التي قصرت واجباتها على الجانب الخلقي وحده، وكالمسيحية التي دعت إلى الرهبانية، وانعزلت عن تعمير الحياة والإنتاج أو كالهندوسية التي تترك نفسها حرة طليقة للارتكاس المادي.

تجلت هذه الوسطية في الأخلاق بين الغلاة المثاليين الذين ظنوا الإنسان ملائكة، وبين الداروينيين الذين حسبوه قرداً، وبهذا الغلو والتقصير ظهرت اللاأخلاقية واللادينية والإباحية.

أما الأخلاق في الإسلام فمصدرها صفات الله العليا، وأسماؤه الحسنى،

ولما أن الإنسان مؤلف من الروح والبدن فقد راعى الإسلام كيانه الروحي والمادي، وجمع بين الحسنيين... وجعل الدنيا مزرعة للآخرة، {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ❖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ❖ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ❖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: ٧-١٠].

تجلت هذه الوسطية في تشريع الإسلام ونظامه الأشمل الأكمل - في التحليل والتحريم - بين تنطع اليهودية وتحرر المسيحية قال تعالى عن اليهود {فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ❖ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ} [النساء: ١٦٠-١٦١].

لكن الإسلام لم يجعل التحليل والتحريم من حق البشر، فعصم من التناقض والاختلاف الذي تعانيه المناهج والأنظمة البشرية والشرائع المحرفة.

وتجلت هذه الوسطية في الفردية والجماعية في صورة متزنة بين حرية الفرد ومصلحة الجماعة في وقت جنحت الفلسفات والمذاهب، والأديان المصطنعة، قديما وحديثا إلى الغلو والتفريط، وقد قيل عن أرسطو: إنه كان يؤمن بفردية الإنسان، وأستاذه أفلاطون يؤمن بالجماعية، وإن عالمنا اليوم يقوم فيه صراع حاد بين المذهب الفردي والمذهب الجماعي، فالرأسمالية تقوم على تقديس الفردية، واعتبار الفرد هو المحور الأساسي.... والاشتراكية تقوم على الحط من قيمة الفرد والتقليل من حقوقه، واعتبار المجتمع هو الغاية.

أما الإسلام فقرر المسئولية الفردية، وقرر له حرمة الدم وحفظ الحياة، وحرمة العرض، وحرمة المال، وحرمة البيت، وحرية الاعتقاد، وحرية النقد والرأي والفكر، وحق الرعاية على الأهل والأولاد، وحق الملك، وأما الحقوق الجماعية والاهتمام بالجماعة في الإسلام فحدث عن البحر ولا حرج، لأن الإسلام دين تضامني تكافلي جماعي في العبادات والمصالح والحكومة.... (١٧).

إن معاني هذه الوسطية التقت كلها في الأمة التي أنشأها كتاب الله والقدوة الحسنة والأسوة النبوية على الخيرية والتعادل، وقد برزت مظاهرها الواقعية في إبان نهضتها، وهنا نحلي هذه السطور ببعض الأمثلة الواقعية في التطبيق العملي للوسطية، والعدل الرباني ما يفخر به تاريخنا الإسلامي.

قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطيبا، فقال أيها الناس! اسمعوا وأطيعوا، فقام له سلمان الفارسي، وقال: لا سمع لك اليوم علينا ولا طاعة حتى تبين لنا من أين لك هذا البرد الذي ائتزرت به، وقد نالك برد واحد كبقية المسلمين، وأنت رجل طوال لا يكفيك برد واحد، فلم يغضب عمر، وإنما نادى ابنه: يا عبد الله بن عمر! قال لبيك يا أمير المؤمنين، قال: نشدتك الله، هذا البرد الذي ائتزرت به أهو بردك؟ قال نعم: والتفت إلى المسلمين فقال: إن أبي قد ناله برد واحد كما نال بقية المسلمين، وهو رجل طوال لا يكفيه برد واحد،

فأعطيته بردي ليئتزر به، فقال سلمان : الآن مر نسع ونطع .

وفي موسم من مواسم الحج يطأ عبد أسود كعب جبلة بن الأيهم الحاكم الغساني في أثناء الطواف، فتأخذه الحمية الجاهلية، فيلطم العبد على وجهه، فيشتكي العبد إلى الخليفة عمر رضي الله عنه، فيأمر عمر بالقصاص ويطلب إحضار جبلة ليلطمه العبد على وجهه تنفيذاً لأمر الله:{وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٧٩] .

ويبلغ ذلك جبلة بن الأيهم فتكبر عليه نفسه، وتأخذه العزة بالإثم فيفر إلى الشام ويرتد عن الإسلام .

ضاعت درع علي كرم الله وجهه وهو أمير المؤمنين سرقها يهودي، فرفعت القضية إلى القاضي شريح، وقف الخصمان أمام القاضي، فقال القاضي :اجلس يا أبا الحسن، فغضب سيدنا علي هذه التفرقة حين دعاه القاضي بكنيته، ثم سأل القاضي عن دعوى علي، فقال الدرع درعي ولم أبع ولم أهب، فقال القاضي لليهودي: ما تقول أنت؟ فقال: الدرع درعي، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب، فالتفت القاضي إلى أمير المؤمنين وقال: يا أمير المؤمنين هل لك بينة؟ فتبسم أمير المؤمنين وقال: صدق شريح، مالي من بينة، فأمر القاضي بالدرع لليهودي، فأخذها ومضى وما سار بضع خطوات حتى عاد والدهشة يملأ قلبه، و قال: يا أمير المؤمنين يقاضيني إلى قاضيه فيحكم عليه، إن هذه أخلاق الأنبياء، أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، الدرع درعك يا أمير المؤمنين، خرجت من بعيرك الأورق فتتبعتها وأخذتها، فقال علي: أما إذا أسلمت فهي لك (١٨) .

تبين من هذه السطور أن الوسطية هي العدل، وهو يناقض التحيز والتحزب، والتنطع والتطرف، والتقصير والغلو، ولما أن الأشياء تعرف بأضداها يجب علينا أن نتنبه من مضار الغلو ومفاسده، فالغلو - أيها القارئ الكريم - هو تعدٍ ما أمر الله به، وهو الطغيان الذي نهى الله عنه بقوله : {وَلاَ تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي} [طه: ٨١] .

والغلو اتجاه وحركة يتجاوز الغالي الحدود التي حدها الشارع، وهو مبالغة في الالتزام بالتدين حيناً، وقد يكون الالتزام بالمخالفة والترك، فترك الحلال والإعراض عنه ضرب من من الغلو، وقد يظهر الغلو رد فعل معاكساً، فالرجل الذي اعترض على قسمة النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين إلا وخرج على حكمه صلى الله عليه وسلم لظنه أن ما فعله الرسول جور وظلم، والخوارج الذين خرجوا على علي بن طالب خرجوا احتجاجاً على فعل خاطيء بزعمهم الفاسد، وهو التحكيم (١٩) .

وتوافرت نصوص الكتاب والسنة بالتحذير من سلوك المغضوب عليهم والضالين المغالين المجاوزين حدود الله المضيعين لها، فقال: {قُلْ يَا أَهْلَ

الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} [المائدة: ٧٧] .

قال شيخ الإسلام بن تيمية :

والنصارى أكثر غلواً في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف، وإياهم نهي الله عن الغلو في القرآن (٢٠).

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته عن الغلو، وذلك لئلا يقع المسلمون فيما وقع فيه من سبقهم من الأمم وبين عواقب الغلو ومغباته، وقال: "إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين " (٢١) .

قال ابن تيمية: هذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال حتى دخل فيه رمي الجمار مثل الرمي بالحجارة الكبار بناءا على انها أبلغ من الصغار، ثم علله بما يقتضي مجانبة هدي من كان قبلنا إبعادا عن الوقوع، فيما هلكوا به، وأن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليهم الهلاك (٢٢) .

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هلك المتنطعون ثلاثاً" (٢٣) .

قال النووي : هلك المتنطعون أي المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم (٢٤) .

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لاَ تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدَّدَ عَلَيْكُمْ . فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشُدِّدَ عَلَيْهِمْ . فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارِ . رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ» (٢٥) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ» وفي رواية: « والقصد والقصد تبلغوا» .

قال ابن حجر : لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية، والتسديد: هو العمل بالسداد، وهو القصد والتوسط (٢٦) .

«وعن أنس رضي الله عنه قال : جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» (٢٧) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : «قَالَ دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ فَقَالَ مَا هَذَا الْحَبْلُ قَالُوا هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حُلُّوهُ لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ فِي نَشَاطِهِ فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ» (٢٨).

هذه النصوص الصريحة تحث المسلم على الاقتصاد والوسطية في العبادة، وفي الأمور الأخرى، كما هي دليل صريح على النهي عن التعمق، وعلى هذا، فإن المسلم لا يحتاج إلى إيجاد شيء جديد يتقرب به إلى الله، فإن ذلك من تجاوز الحدود التي حدها الله وأوضحها، كما لا يجوز له أن يحرم طيبات أحلها الله له، كما قال تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**} [سورة المائدة: ٧٨].

وأخيرا أود أن تدرك هذه الأمة الوسط من وظيفتها ومنزلتها، وإن منزلة هذه الأمة بين الأمم والشعوب كمنزلة الرسول صلى الله عليه وسلم في العالمين، فيجب عليها أن تعلى صوت الحق، وتدعم الخيرية، وتحرس وحي السماء، وتضيء سراج الهداية، وترفع راية السلام، وتهتم بالكليات أكثر من الجزئيات، وتدرك تركيب الفكر الشامل، وتتمسك بشمول الإسلام، وتحقق متطلبات الزمن، وتحرر الإنسان البائس الذي يتيه في ظلمات البر والبحر، ويتخبط في السماء والأرض، ولأن يهدي الله بك رجلا خير لك من حمر النعم.

الهوامش:

(١) فتح الباري ٤/ ٢٤٥. (٢) مجموع الفتاوى ١٣٥/١٠.
(٣) يراجع فتح الباري ٦١٣/١٢ (٤) تفسير ابن كثير ٩١/١
(٥) تفسير أبي السعود ١٢٣/١ (٦) جامع البيان ٦/٢.
(٧) المصطلحات الأربعة لعبد المتعال محمد الجسري ص: ٧١.
(٨) عون المعبود للعظيم آبادي ٣٦٩/١٢ (٩) مدارج السالكين ٤٩٦/٢.
(١٠) أخرجه أبو داود كتاب الأدب، باب الحسد (١١) التفسير المنير ٩/٢.
(١٢) رواه مسلم كتاب الطلاق (١٣) رواه مسلم كتاب البر والصلة.
(١٤) رواه مسلم كتاب البر والصلة.
(١٥) هذه المعاني مستفادة من "خصائص عامة للإسلام" للعلامة يوسف القرضاوي ص: ١١٨. ١٢١.
(١٦) في ظلال القرآن ١٢٥/١(١٧) راجع إلى خصائص عامة للإسلام ص: ١٣٢.
(١٨) هذه القصص منقولة من "الثقافة الإسلامية" بقلم: محمد قلب ص: ٤١. ٤٢.
(١٩) فتح الباري ٦١٩/٦ (٢٠) اقتضاء الصراط المستقيم ص: ٢٨٩.
(٢١) رواه أحمد في مسنده ٢١٥/١.
(٢٢) تيسير العزيز الحميد ص: ٢٧٥.
(٢٣) رواه مسلم كتاب العلم ٢٠٥٥/٤ (٢٤) شرح مسلم ٢٢٠/١٦.
(٢٥) رواه أبو داود كتاب الأدب، باب الحسد
(٢٦) نقلا عن "الغلو في الدين" ص: ٦٩.
(٢٧) رواه البخاري كتاب النكاح، ومسلم كتاب النكاح.
(٢٨) رواه البخاري كتاب التهجد

الدعوة الإسلامية

الجاهلية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

[الحلقة الثانية]

الأستاذ محمد مبين سليم الندوي الأزهري

شمولية الجاهلية العربية:

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان لا يعلم شيئاً، ومنحه أدوات العلم، فبدأ يتعلم تدريجيًا، ويتعرف على نواميس الكون ونظامه، قال سبحانه وتعالى: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [سورة النحل: ٧٨].

ومن هنا فلا تخلو نفس عن العلم، وإلا لما استطاع الإنسان أن يقضي حياته، فهو يتعلم الأشياء منذ الولادة حتى الموت بالممارسة والتقليد والمحاكاة، ويدبر الأمور وفق معرفته الفطرية، ولكن القضية المهمة عند تحديد الجاهلية: هل حصل على العلم بالتعلم والتربية؟ وهل هذا العلم نافع؟ أي هل هذا العلم الذي قد تمكن من الإدراك به صحيح أم لا؟ أم هو اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه؟ ثم هل العمل الذي يقوم به نتج من العلم الصحيح؟ أم هو من قبيل فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل، سواء اعتقده اعتقادا صحيحا أم فاسدا؟

أما العلم الكامل بجميع الأشياء فليس في مقدور البشر مهما يبلغ من علو مرتبة، لأن الكمال لله وحده لا شريك له، ثم يختلف البشر في العلم هبة وكسبا، ويتدرجون في مراتب العلم وفق قدراتهم الفطرية، وجهودهم الكسبية، ويتخصصون حسب ميولهم العلمية، ومن ثم يصبحون متخصصين في فن أو أكثر من الفنون، وكذلك في مجال من المجالات العلمية الميسرة للإنسان، ومن هنا لا يمكن أن يكون أحد عالما في كل فرع من فروع العلم، ولا في كل مجال من مجالات الحياة، وإذا كان الأمر كذلك، فإن كل عالم في مجال جاهل في مجال آخر، لأن نفسه تخلو من علم المجال الآخر أو فنه إلا أننا لا نقول لمثل هذا الشخص: إنه جاهل، لأنه اتصف بإدراك العلم عن طريق التعلم في مجال ما، وإلا لما بقي أحد من البشر عالما من هذا الميزان الدقيق.

هذا، كان عن خلو النفس من العلم، ولا يختلف اثنان في أن من تعلم القراءة والكتابة وأدرك العلم بالتعلم، خرج من دائرة الجهل المعروف لدى الأمم، وبناء على ذلك يحكمون على الأمة، هل كانوا متعلمين مثقفين؟ وهل

كانوا يحملون نظاماً تعليمياً، معرفياً معيناً، وهل كانت فيهم حركة علمية؟ وهل وجد فيهم متخصصون في بعض المجالات؟ وإذا كانت الإجابة بنعم، فيحكمون على أن هذا المجتمع أو ذلك كان متحضراً راقياً بغض النظر عن صحة العلم أو خطئه، أو وجود سوء الأخلاق من عدمه، أما الضرب الثاني والثالث: فلا يلتفتون إليهما البتة، وهما: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه، وفعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل، سواء اعتقده اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً.

أما المنهج النبوي فهو يحكم على الأفراد والجماعات بالجاهلية في ضوء الضرب الأول والثاني أيضاً، ومن هنا يحكم على من يرتكب شيئاً يخالف ذلك المنهج بأنه جاهلية كما اتضح من خلال النصوص القرآنية والحديثية السابقة، فالمشكلة دائماً في حصول العلم من المصادر الصحيحة، والحكم على الشيء، وليس في كسبه وإدراكه من هذا المصدر أو ذاك في أي مجال من المجالات بشقيه العلمي والفني الشكلي، أي المعلومات الصحيحة الضابطة العلمية وأشكال ونظم تطبيقاتها الفنية.

ومن هنا نقول وبالله التوفيق:

إن هناك أصولاً ومبادئ وضوابط متعددة ضرورية للتنظيم والإدارة الفنية ومنها:

- العقائد
- العبادات
- الأخلاق
- الآداب
- ضوابط المعاملات المعيشية الاقتصادية الخلقية.

ومع هذه المبادئ والأصول والضوابط توجد نظم وإدارات وخطط فنية تطبيقية تعمل عملها في ضوء الأصول والضوابط القانونية المتفرعة من الأصول، ومن أهمها:

- نظام الاجتماع البشري.
- نظام المعاملات الاقتصادية.
- نظام السلطان والحكم والسياسة والإدارة.
- نظام التعليم والتربية المنظمة ومراكزها للقراءة والكتابة والممارسة الفنية.
- نظام العلوم الطبيعية الكونية بجميع أنواعها.
- نظام العلوم الأدبية والإنسانية والتاريخية والحضارية واللغوية بجميع أنواعها.

أما المعلومات الصحيحة الضابطة في كل من المبادئ والأصول

الضابطة والنظم الفنية التطبيقية فالمجتمع الإنساني كله بقسميه العربي والعجمي بدون تفريق كان قد وصل قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى أدنى حد له، واختفت الحقائق تحت ركام الجاهلية العامة، والجو السائد الفاسد، رغم وجود بعض الحقائق منها، لأن أهل الكتاب أيضاً كانوا قد حرفوا كتب الله أي مصادر المعلومات الصحيحة، وخلطوا بين الحق والباطل.

وأما النظم التطبيقية والممارسات الفنية فكانت أيضاً لم تخل من الجاهلية والفساد بناء على المعلومات الخاطئة أو المحرفة، ولا يعترض هنا من لا إلمام له بأحوال العالم عند بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بأنه كانت توجد كل من هذه الأشياء المذكورة أعلاه في ذلك العصر؟ وكيف يجوز لك أن تتكرها؟ نعم كانت، ولكن غلب عليها الفساد، وللأكثر حكم الكل في قانون الأمم والمجتمع الدولي السابق والحاضر، ولأجل العلة ذاتها قال الله سبحانه وتعالى مبينا صورة المجتمع البشري آنذاك: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [سورة الروم: ٤١].

ولكن لو قمنا بالتحليل العام فنقول: إن العرب المشركين كانوا أقل حظاً في معرفة الأصول والمبادئ والضوابط والنظم والأشكال الفنية التطبيقية من أهل الكتاب، ومن غيرهم من الأمم أيضاً (١)، ومن هنا يسوغ لنا أن نقول:

"إن الجاهلية من الجهل، وله ثلاثة أضرب كما قاله الأصفهاني، وتبعه الفيروز آبادي، وقد وجدت هذه الثلاثة عند العرب في العصر الجاهلي بمجالاتها المتعددة كما وجدت عند غيرهم بفروق، وليس كلهم - أي العرب - قد اجتمعت فيهم هذه الأضرب الثلاثة، بل اتصف عامتهم بخلو النفس من العلم - بمعنى التعليم والتربية - ومعظمهم بخلو النفس من العلم النافع، وهو اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه وفعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل، ثم إن هذه الجاهلية دخلت في كل مجال من المجالات المذكورة أعلاه، ومن الخطأ اتصافهم بضرب منها وعمومه دون آخر، بل إنكاره أو تخصيصهم بجاهلية مجال دون آخر، كما فعل بعض الباحثين، و وقع معظم الدارسين والمتخصصين في التحديد غير المبرر، فمنهم من حكم عليهم بالجاهلية ونسبوا

---

١ - يراجع لمعرفة حال العالم عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم عامة وحال عرب الجزيرة العربية خاصة: "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ص:٤٥ وما بعدها، (المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء لكناؤ (الهند)، الطبعة الخامسة عشرة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ومنهج التربية الإسلامية للأستاذ محمد قطب، ج/٢، ص: ٢٥٥ـ ٢٥٩ (دار الشروق، القاهرة).

إليهم جاهلية العقائد والعبادات والأخلاق فقط مثل ابن الأثير (1)، ومنهم من اكتفى بوصفهم بالجاهلية الأخلاقية وأكد على أنها ليست مشتقة من الجهل الذي هو نقيض العلم بل من السفة والطيش (الغضب) والأنفة، والحمق، والترف، والتهور، وعدم ضبط النفس، وفقدان السيطرة على العقل، وعدم السلوك الحكيم، وكما ربطها البعض الآخر بالعدوان وسفك الدماء أكثر من أن تكون تعبيرا عن أمية دينية أو علمية، كما ذهب إليه الأستاذ أحمد أمين في كتابه "فجر الإسلام"(2)، وشوقي ضيف في كتابه "العصر الجاهلي"(3)، وعلى الجندي في كتابه "مقدمة لدارسة الأدب الجاهلي"(4) وعفة الشرقاوي في كتابه "دروس ونصوص في قضايا الأدب الجاهلي"(5) كما ذكر هذه الآراء الدكتور حسان محمد حسان في بحثه بعنوان: "أهداف تربية العرب قبل الإسلام" (6).

وهناك كثير من خصصها بجاهلية العقائد فقط نحو: الشرك والوثنية دون ربطها بعدم القراءة والكتابة مثل: جواد على في كتابه "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام" (7) وفيليب حتى في كتابه "تاريخ العرب قبل الإسلام"(8)، وناصر الدين الأسد في كتابه "مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية" (9) ولطفي عبد الوهاب يحي في كتابه "العرب في العصور القديمة، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام"(10).

ومنهم من عنى بها جاهلية العلم والقراءة والكتابة فقط وعبروها بنقيض العلم، وهو عدم العلم وأتباعه، كما ذهب إليه النويري في كتابه "بلوغ الأرب"(11).

---

1 - يراجع النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير ج/1، ص: 192 (المطبعة العثمانية بسوق الزلط من مصر المعزية 1311هـ).
2 - يراجع: "فجر الإسلام" ص:69 (مكتبة النهضة المصرية الطبعة السابقة).
3 - يراجع "العصر الجاهلي" ص:39 (دار المعارف، القاهرة 1960م).
4 - يراجع مقدمة لدراسة الأدب الجاهلي ج/1، ص:16 (الانجلو، القاهرة، الطبعة الثالثة 1969م).
5 - يراجع: دروس ونصوص في "قضايا الأدب الجاهلي" ص:39-42 (دار النهضة العربية بيروت 1979).
6 - نشر بحثه في مجلة الدارة، الصادرة عن دارة الملك عبد العزيز بالرياض، ص:44- 46، (العدد الأول، السنة الحادية والعشرون، شوال، ذو القعدة، ذو الحجة 1415هـ).
7 - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج/8 ص:142، دار الملايين، بيروت، 1971م.
8 - تاريخ العرب (مطول) ترجمة: إدوارد جبرجي وجبرائيل جبور ج/1، ص:117- 118 (دار الكشاف للنشر والطباعة بيروت).
9 - "مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية" ص:19 (دار المعارف، القاهرة 1956م).
10 - "العرب في العصور القديمة، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام" ص:252- 253 (دار النهضة العربية بيروت 1978م).
11 - "بلوغ العرب ج/1، ص:16.

والصحيح وجود جميع أنواعها كما تبين من الدراسة السابقة، ومن هنا من المستحسن أن نراعي هذه الشمولية للجاهلية عند الحديث عنها، وكذلك يسوغ لنا أن نصدر القول بجاهلية كل من يستحق ذلك، وتخصيص نوع دون آخر بغير مخصص، شطط وانحراف، أما الاكتفاء بذكر بعضها دون آخر فلا بأس، أما الإصرار على تحديدها بنوع دون آخر فلا مساغ له البتة في ضوء الدارسة السابقة، والله أعلم بالصواب.

*** سبب الجاهلية:**

هو بعد العهد عن الأنبياء وتعاليمهم، وعدم العلم أو قلة نشره وتعليمه، وكتمانه والبخل عنه، وتخصيصه لطائفة دون الناس، كما كان الحال عند العرب، واتصف ببعضه اليهود والنصارى والهندوس والإغريق، لأن الرسل والأنبياء هم الواسطة بين الله وعباده في تبليغ التعاليم الربانية والهداية الإلهية والبصائر النبوية، فلا يمكن الحصول على العلم الصحيح في مجال الأصول والمبادئ والضوابط مثل: العقائد والعبادات والأخلاق الصالحة والآداب وأصول المعاملات الاقتصادية الضابطة للتنظيمات البشرية المتنوعة إلا عن طريق الوحي، ومن أجل ذلك أرسل الرسل والأنبياء مبشرين ومنذرين، قال الله تعلى: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء: 165].

ومن هنا فكلما بعد الناس عن عهد الأنبياء وتعاليمهم، انتشرت الجاهلية كذلك بنفس الدرجة، وبناء على ذلك يمكن أن نقول: من المعروف أن العرب من أولاد إبراهيم عليه السلام، وببعد عهدهم به تركوا تعاليمه، واتصفوا بقلة العلم وعدم نشره كما يتضح من بحثنا هذا. أما اليهود والنصارى فتركا تعاليم أنبيائهم ووصفوا بكتمان العلم والبخل في كثير من آيات الذكر الحكيم نحو قوله تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [آل عمران: 71]. وأما الإغريق فكانوا لا يختلفون كثيرا عن العرب المشركين في الجاهلية العقائدية وغيرها وكانوا يعتقدون في نظام الطبقات أيضا، ومن كان حاله مثل ذلك فالعلم لا ينتشر إلا في فئة قلية من الناس، وهذه الأقلية المتعلمة تحتكر العلم وتسير أمور الحياة وفق إرادتها في المجتمع، فتبقى الأكثرية في الأمية والجاهلية (1).

---

1 - يراجع لمعرفة نظام الطبقات عند الإغريق المرجع في تاريخ التربية للدكتور بولنرو، ج/1، ص: 131- 136 (ترجمة صالح عبد العزيز مكتبة النهضة المصرية 1949م) ومسيرة الفكر التربوي عبر التاريخ للدكتور

وأما الهندوس فهم الذين أسسوا حياتهم الاجتماعية على نظام الطبقات الذي وضعه منو من كتابه "سمرتي" فكان العلم قد احتكر على طبقة براهيمية بالإضافة إلى اتصافهم بالوثنية التي هي عقبة كأداء في سبيل نور الإيمان والإسلام منذ بداية الحياة البشرية على الأرض، ومن هنا نقول: إن أمة الهندوس وأمة الإغريق كلتاهما وقعتا فريسة الجاهلية العمياء ببعد عهدهم من الأنبياء وعدم الالتفات إلى تعاليم الرسل، ثم عدم الحفاظ على مصادر العلم الصحيح لو وجدت عندهم [1].

والخلاصة أن العالم كله كان يمر بالجاهلية بفروق، والعرب خاصة كانوا أقل حظاً في القراءة والكتابة من غيرهم على الإطلاق، رغم وجود من كان يقرأ ويكتب منهم كما يأتي في الفقرة التالية إن شاء الله تعالى.

*** أمية العرب معناها ومدلولاتها :**

إن العرب وصفوا بالأمية في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، قال الله تعالى:{هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ}[الجمعة:٢] {وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ}[آل عمران:٢٠] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"إنا أمة أمية لا نكتب ولانحسب، الشهر هكذا وهكذا" [2] .

وإذا كان العرب عامة أميين حتى وصف النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه الحاضرين رضي الله عنهم في مجلسه بالأمية، فما هي، وما مدلولاتها؟ وهل هي عيب أم لا؟ وهل الأمية مرادفة للجاهلية؟ أم هي شيء آخر ؟

قال الفيروز آبادي:" الأمي: قد ورد في القرآن علي ثلاثة أوجه :

الأول: بمعنى العرب، وهم الذين لم يكن لهم كتاب من قبل{هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ}[الجمعة:٢] .

محمود السيد السلطان ص: ٤٣ـ ٤٥(دار المعارف مصر١٩٧٩م)، والأصول التربوية في بناء المناهج للدكتور حسين سليمان قورة، ص:١٤ـ١٥(دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة ١٩٧٢م).

1 - يراجع لمعرفة نظام الطبقات لدى الهندوس: منوسمرتي (كتاب الهندوس المقدس) شرع منو للمنو، ص: ٥٧٣ـ ٥٨٩(ترجمة إحسان حقي، دار اليقظة العربية، الطبعة الاولى بدون تاريخ) وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي، ص: ٦١، وما بعدها، والتربية عبرالتاريخ للدكتور عبد الله عبد الدائم ص:٢٥ـ ٢٩(دار الملايين بيروت الطبعة الخامسة ١٩٨٤م، والتربية في حضارات الشرق القديم للدكتور سعيد إسماعيل علي، ص: ١٦٧ـ ٢٠٢ (عالم الكتاب القاهرة ١٩٩٩م) .

2 - صحيح البخاري (الفتح) ج/٤، ص: ١٥١ رقم الحديث : ١٩١٣م واللفظ له، كتاب الصوم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "لا نكتب ولا نحسب" وصحيح مسلم بشرح النووي، ج/٧، ص: ١٩٢ رقم الحديث: ٢٥٠٨ كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال .

الثاني: بمعنى اليهود الذين لا يعلمون معنى التوراة {وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ}[سورة البقرة: ٧٨] .

الثالث: بمعنى النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم{الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ}[سورة الأعراف: ١٥٧] .

قيل: هو منسوب إلى الأمة الذين لم يكتبوا، لكونه على عادتهم، وقيل: سمّي بذلك لأنه لم يكن يكتب ولا يقرأ من كتاب، وذلك فضيلة له [1]. وقال ابن الأثير : في شرح حديث: "إنا أمة أمية" أراد أنهم على أصل ولادة أمهم، لم يتعلموا الكتابة والحساب، فهم على جبلتهم الأولى، وقيل: الأمي، الذي لا يكتب [2] .

- **لماذا قيل للعرب في العصر الجاهلي "أميون" ؟**

في ضوء ما سبق نقول: إن العرب عرفوا بالأميين لوجهين :

الأول: لأنه لم يكن لهم كتاب .

والثاني لأن الكتابة والقراءة كانت عزيزة نادرة فيهم .

- لماذا وصف العرب بعد الإيمان بالأمية ؟

وصف بها العرب لعلة واحدة وهي: قلة الكتابة "لأن الكتابة فيهم عزيزة، ولا يرد على ذلك، أنه كان فيهم من يكتب ويحسب لأن الكتابة كانت فيهم قليلة نادرة" [3]"والحكم للغلبة لا للصورة النادرة" [4] حتى قال الشاطبي وفق هذا المفهوم:"هذه الشريعة المباركة أمية لأن أهلها كذلك" [5] .

- **أمية العرب وعلاقتها بالجاهلية العربية وهل الأمية عيب؟**

وهل هي بمعنى الجاهلية ؟

وبذلك تبينت الأمية من الجاهلية، وهما شيئان مختلفان تماماً، إلا في صورة واحدة، وهي: إذا أدت الأمية إلى الجاهلية، فتكون مثلها، وتطلق عليها باعتبار مآلها، فالأمية بذاتها - بمعنى عدم معرفة الكتابة - ليست عيبا وعارا إلا إذا اتصلت بالجاهلية أو أدت إليها، والعرب قبل الإسلام أصيبوا بأمية جاهلية فعيب عليهم، أما بعده فلم يعيّبوا، لأنها صفة لم تمنعهم من العلم والمعرفة والقراءة، والعلم له ثلاثة مصادر: الداخلي، والخارجي، والمركب منهما، وليس من

---

1 - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين الفيروزآبادي، ج/١، ص: ١٥٩

2 - النهاية في غريب الأحاديث لابن الأثير ج/١، ص: ٤٣ .

3 - فتح الباري للحافظ ابن حجر، ج/٤، ص: ١٥١، والمنهاج (شرح صحيح مسلم) للإمام محي الدين النووي، ج/٧ ص: ١٩٣.

4 - تذكرة الحفاظ للذهبي، ج/٣، ص: ١١٨١ـ١١٨٢.

5 - الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق الشاطبي، ج/٢، ص: ٦٩.

الضروري لحصول العلم معرفة القراءة من كتاب، وتعلم الكتابة وكذلك ليس من اللازم لحفظه الكتابة والتدوين، وكذلك ليس للقارئ أن يكون كاتبا، والعكس صحيح، ومن هنا تظهر دقة تعبير الفيروز آبادي في شرح كلمة الأمي بمعنى النبي صلى الله عليه وسلم، وما أحسن ما كتبه الدكتور ماجد عرسان الكيلاني في هذا الصدد حيث قال:

"فالعلم - الذي يستحق اسم العلم - هو الذي يسبق الكتابة، أي هو ثمرة "الوحي" الذي جاء به الرسل و"الملاحظة المنظمة" وما يتبعها من خطوات التفكير العلمي الذي تقوم بها "العلماء" من خلال قدراتهم العقلية العليا وحواسهم الدقيقة الملاحظة.

أما الكلمات المدونة فهي قيد للعلم من النسيان والضياع، والقرآن الكريم يعتبر الوقوف عند مستوى قراءة الحروف ضربا من الأمية كما تشير إلى ذلك الآية الكريمة {وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ} [البقرة: ٧٨] (1).

خلاصة البحث :

ومن خلال البحث حول الجاهلية ومدلولاتها توصلت الدارسة :

- أن العالم كان يمرّ بجاهلية قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بسب البعد عن عهد الأنبياء وتعاليمهم، وضعف العلم وكتمانه .
- اتصف العرب غير المسلمين بالجاهلية في جميع الميادين والمجالات، ووصف العرب المشركون في الجاهلية بالأمية بسبب قلة الكتابة، والقراءة فيهم رغم وجود من كان يقرأ ويكتب فيهم ولأنهم لم يكن لهم كتاب، وإن أمية معظمهم اتصلت بالجاهلية .
- أما وصف العرب المسلمين بالأمية فكان بسبب قلة الكتابة فيهم، ولم تتصل أميتهم بالجاهلية، ولذلك لم يعب عليهم .

أن القراءة والكتابة ما هما إلا وسائل العلم والمعرفة وحفظهما، فمن رزق علماً وحفظاً بغيرهما فلا حاجة إليهما، ولا يسمى صاحبه جاهلاً، بل يطلق عليه "الأمي" ولكن العلم لا يمكن حصوله في الأغلب إلا بهما فأطلق على كل من لم يتصف بهما أميا، فهو إطلاق عمومي فقط لا غيره، والعرب بما منحوا من قوة الحفظ والذاكرة فاستخدموها في حفظ العلم أكثر من غيرهم - بدل وسيلة الكتابة والتدوين - أما غيرهم فاستعانوا بالكتابة أكثر .

---

1 - فلسفة التربية الإسلامية ص: ٢٤١ (دار القلم للنشر والتوزيع، دبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

القصص القرآني: خصائصه وأهدافه

الأستاذ محمد عابد الأنصاري (يوبي)*

قبل الشروع في المناقشة عن الأدب القصصي في القرآن الكريم لا بد من الإشارة إلى الأدب العربي والقرآن الكريم ومكانة القرآن الكريم في الأدب العربي .

ذهب علماء اللغة في معنى لفظ أدب مذاهب شتى - فمنهم من قال : إنه «الظرف وحسن التناول» ومنهم من قال: إنه «عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ». ويستفاد من أقوالهم جميعا أنه خطة المحامد وسنة الفضيلة والاستفادة. الأدب محركة، الذي يتأدب به الأديب من الناس، سمي به، لأنه يؤدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح، وأصل الأدب الدعاء (2) الأدب عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ (3) .

الأدب العربي أغنى الآداب جمعاء؛ لأنه آداب الخليقة منذ طفولة الإنسان إلى اضمحلال الحضارة العربية، فما كانت لغة مضر بعد الإسلام لغة أمة واحدة، وإنما كانت لغة لجميع الشعوب التي دخلت في دين الله أو في كنفه (4).

القرآن أول كتاب دون في اللغة العربية، أما دراسته فضرورية لتاريخ الأدب، لأنه مظهر من الحياة العقلية والحياة الأدبية عند العرب في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع للمسيح. وهو واضع النثر الفني ومنبع المعاني والأساليب والمعارف التي شاعت في أدب ذلك العصر، القرآن كتاب نزل بأسلوب بديع لا عهد للأذان ولا للأذهان بمثله، فلا هو موزون مقفى ولا هو سجع يتجزأ فيه المعنى في عدد من الفقر ولا هو مرسل يطرد أسلوبه دون تقطيع ولا تسجيع. لقد أثر القرآن الكريم تأثيرا بليغا في الأدب العربي .

وفي الحقيقة القرآن الكريم أفق أدبي ذو جلالة في عالم الأدب. والقرآن الكريم المثال الأعلى في البلاغة والفصاحة. أما دوره في مجال الأدب العربي فأجود.

- **القصة لغة:**

(القصة: الخبر، وهو القصص، وقصّ علي خبره يقصه قصاً وقصصاً (4)

---

*- محاضر قسم اللغة العربية، جامعة شري شنرك أجاريا للسانسكريت كالادي، المركز المحلي ترور.

1 - قال السيد المرتضى الحسيني الزبيدي في تاج العروس

2 - قال الجرجاني في كتاب التعريفات .

3 - أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي .

4 - لسان العرب:٧/٧٤.

ومنه (القص وهو تتبع الأثر)، و(القصص: الأثر) والقصص: الأخبار المتتبعة [1] وللقصة معان أخرى متقاربة، فهي تأتي بمعنى (الخبر)، و(الأمر والحديث) و(الجملة من الكلام [2]) (والقصص : الخبر المقصوص، بالفتح، وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه، والقصص، بكسر القاف: جمع القصة التي تكتب [3] .

فمدلول القصة في اللغة واضح، وواسع، ولكن بعض المحدثين يختار مدلولاً للقصة فيه بعض القيود، وهو: الحكاية عن خبر وقع في زمن مضى لا يخلو من بعض عبرة فيه شيء من التطويل في الأداء [4].

- **القصة اصطلاحا:**

أما مفهوم القصة في القرآن الكريم، فهو وإن كان واضحاً في مفرداته وماصدقاته، وذلك من خلال وضوحه، في اللغة، غير أن ضبطه بحد في القرآن الكريم قد تتفاوت فيه وجهات النظر، وذلك نظرا لما في القصة القرآنية من خصائص تميزها عن غيرها: من صدق في الواقعية التاريخية، وجاذبية في العرض والبيان، و(شمولية في الموضوع، وعلو في الهدف، وتنوع في المقصد والغرض، ووضوح في الإعجاز [5] .

فمدلول القصة في القرآن، هو مدلولها اللغوي مضافاً إليه تلك الخصائص، والسمات التي تميز بها القصص القرآني على غيره.... والله تعالى أعلم .

وللقصة ألفاظ تداخلها في مدلولها كثيرا ك (النبأ، والخير، والمثل) [6].

أما العرب الأقدمون والقصة، فلا شك أنه كان في الجاهلية معلمون يعلمون أخبار الأولين وقصص التاريخ، مثل النضر بن الحارث الذي اكتتب أساطير الأولين، وكان يحدث الناس عن رستم وإسفنديار وملوك فارس [7]. ومثل أصحاب الكتاب الذين كانوا يرون أخبار الأنبياء .

فقد روى الجاهليون في أسمارهم أخبار العرب البائدة [8] وإرم ذات العماد [9]، وعوج بن عناق [10] ، وأخبار مأرب وسيل العرم وأخبار القصور

1 - مفردات ألفاظ القرآن ص: ٦٧١.
2 - اللسان ٧/٧٣. ٧٤
3 - اللسان ٧/٧٣. ٧٤
4 - بحوث في قصص القرآن ص: ٤١
5 - الدعوة إلى الله تعالى ص: ١٤٦ .
6 - المصدر السابق ص: ١٤٥
7 - ابن هشام السيرة .
8 - ناصر الدين الأسد مصادر الشعر الجاهلي .
9 - المثلوجيا عند العرب، لمحمود سليم الحوت .
10 - المصدر السابق

وعام الفيل(١) .

خصائص القصص القرآني:

يتميز القصص القرآني عن غيره من سائر القصص بخصائص يعلو بها جلالة وقداسية، ويزداد بها بلاغة وإعجازا، ويعظم بها أهمية وتأثيرا، وبهذه الخصائص استحق أن يُوسم بأحسن القصص في قوله تعالى :{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ} [سورة يوسف:١٢/٣] .

فمن تلك الخصائص :

- التكرار الهادف (٢) المعجز: لما لهذه الخصيصة من تميز وظهور .
- الواقعية التاريخية (٣) : ونعني بها أن كل ما في قصص القرآن من أخبار الأولين فإنها هي حقائق تاريخية صادقة لا يصادمها عقل، ولا يخالفها نقل، وسواء في تلك المصداقية ما كان من أخبار الأنبياء مع أقوامهم، وما كان من قبيل المعجزات وخوارق العادات، كانفلاق البحر وكلام الهدهد والنملة، وليس فيها أي نوع من التناقض أو الاختراع، ولا أي شكل من أشكال الخيال أو التصوير المجرد عن الحقيقة، ولا أي صورة من صور الرمز أو الإشارة، كما يدعي بعض المستشرقين، أو أذنابهم ممن ختم الله على قلوبهم، فهم ينعقون بما لا يعلمون؛ باسم الإبداع الأدبي تارة، وباسم الفن القصصي تارة أخرى، وباسم الإمتاع وسعة الخيال تارة ثالثة، وبأسماء أخرى تارات وتارات، وليس لهؤلاء همّ ولا هدف من أدب وغيره.. إلا تقويض دعائم القرآن، والتشكيك في مصداقيته {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [سورة الصف: ٦١/٨ .

ما ضر هذا البحر أمسى زاخراً أن رمى فيه غلام بحجر

وأي مصداقية أعظم مما يقول الله فيه . وهو أصدق القائلين .: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ} [سورة آل عمران: ٣/٦٢] .

- الشمولية المطلقة (١٨): فقصص القرآن شاملة من عدة جهات:
  - (في حصر النفوس المخاطبة وطباعها وخلالها ووجهاتها ومكامن شعورها ..
  - في تنويع الأساليب والوسائل الملائمة لكل جنس وطبقة ولون ..

1 _ المصدر السابق
2 _ المصدر السابق
3 _ الدعوة إلى الله تعالى ص: ١٦٢ بتصرف واختصار .

❖ ومن حيث الزمن؛ فالقصة تتحدث عن الماضي والحاضر والمستقبل..) ([1])

❖ ومن حيث شمولية موضوعاتها؛ فكما أنك تجد في موضوعات القرآن شمولا.. فكذلك تجد في قصص القرآن شمولاً لكل تلك الموضوعات، من عقائد وعبادات وأخلاق وآداب اجتماعية واقتصادية وسلطانية وغير ذلك ..

- **كونها هادفة ([2]):**

فالغاية الأولى من قصص القرآن هي تأملها وأخذ العبرة منها وتصحيح العقائد والأخلاق، حتى ينصلح الفرد والمجتمع، وليست الغاية قاصرة على إمتاع النفوس بسماع قصص مسليّة أو بطولات خيالية، أو إظهار براعة أدبية مجردة عن هدف الإصلاح، كما هو الحال في عامة الفن القصصي، وليست الغاية أيضا سردا تاريخيا جافا، كما هي مهمة المؤرخين، فالقرآن بكل ما فيه من قصص وغيرها هو كتاب هداية وعبرة بالدرجة الأولى، قال جل شأنه:{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [يوسف:١٢/١١١].

- **الإعجاز القصصي:**

إن القصة تمثل جزءاً كبيراً من القرآن، وبالتالي فهي كسائر القرآن في كل خصائصه وسماته العامة، ومن ذلك كونه معجزا؛ فوجوه الإعجاز التي تجدها في سائر القرآن غير القصص تجدها في القصص، لكن القصص يزيد على ذلك بوجوه أخرى من الإعجاز تميزه عن غيره.. فمن تلك الوجوه: التكرار الهادف؛ حيث تجد في كل موطن من العبر واللطائف والإشارات ما لا تجده في نفس القصة في موطن آخر، ومن وجه آخر؛ حيث يعجز إنسان - مهما أوتي من البيان - عن التنويع في قصة واحدة بضروب من الفصاحة، دون أن تظهر عليه علامات الضعف أو الركة أو التفكك أو التكلف، ومنها: إخباره عن قصص ماضية دارسة صدقها أهل الكتاب. ومنها : إخباره عن قصص مستقبلة غيبية.. منها ما صدقتها الأيام، ومنها ما سيقع.. وغير ذلك مما هو مبسوط في مظانه من كتب الإعجاز... والله تعالى أعلم.

أهداف القص القرآني:

إن الهدف الأول من القصص القرآني لا يتجاوز المحور الأعظم لأهداف

---

1 - الدعوة إلى الله تعالى ص: ١٦٢.
2 - القصة القرآنية ص: ٥

القصص القرآني في النقاط التالية ([1]) - وذلك من خلال ما أشارت إليه آيات القرآن متفرقة في معرض حديثها عن قصص متعددة -:

١- تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى:{وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ}[سورة هود:١١/١٢٠]، ففي أخبار المرسلين وتكذيب أقوامهم تسلية وتصبير لقلب النبي صلى الله عليه وسلم - وللمؤمنين والدعاة من بعده - على ما يلقاه من أذى المشركين وتكذيبهم كما قال تعالى:{قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ.....}[سورة الأنعام:٣٣]، {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ}[سورة الأنعام: ٦/٣٣-٣٤] .

٢- إثبات صدق النبي صلى الله عليه وسلم في رسالته.. فمن وجه أن دعوة الأنبياء واحدة، ومنهجهم واحد، وبالتالي فإن النبي صلى الله عليه وسلم كما قال جل شأنه : {قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ} [سورة الأحقاف: ٤٦/٩]، وقال أيضا: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}[سورة النمل:١٦/٤٣] . ومن وجه آخر؛ حيث ينبيء النبي صلى الله عليه وسرم بأخبار الأمم السابقة والقرون الساحقة مما لا يعلمه أحد من كتاب العرب فضلا عن أمي مثله "صلى الله عليه وسلم" وهذا ما أشار إليه الحق سبحانه حين قال : وهو يعرض قصص الأنبياء في سورة هود عليه السلام: {تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا}[سورة هود: ١١/٤٩] ، وحين قال: مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم في سورة القصص: بعد عرض شيق وطويل لنبأ موسى وفرعون:{وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ❖ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ❖ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}[سورة القصص:٢٨/٤٤-٤٦] .

٣- الاعتبار والاتعاظ من خلال النظر في سنة الله النافذة في هذا الكون، فالعاقبة للمتقين، والبوار والخزي دائما على الظالمين، وما أكثر الآيات التي تأمرنا بالسير في الأرض للنظر والاعتبار من عواقب وآثار الماضين، وفي هذا يقول سبحانه :{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ}[يوسف:١٢/١١١] .

ومعنى العبرة: هو التأمل والاتعاظ والاعتبار بأن نقيس أنفسنا على

---

1 - الدعوة إلى الله تعالى ص: ١٥٨- ١٦٠ .

السابقين ممن قص الله علينا نبأهم بالحق، فنعلم أن سنة الله ماضية فينا كما خلت في الذين من قبلنا، إن خيرا فخير... وإن شرا فشر...

٤- تصحيح العقائد الفاسدة وتثبيت العقائد الصحيحة «ومحورها أمران: الإيمان بالله وحده، والإيمان بالبعث بعد الموت»، وهذا ظاهر من خلال دعوات الرسل والأنبياء جميعا لأقوامهم .

٥- تقويم الخلق والسلوك الفردي والجماعي، وتحقيق خلافة الإنسان في الأرض، وهذا ظاهر من خلال معالجة كل نبي لصفة معينة في قومه - عدا الكفر - كان يسعى لإصلاحها؛ فالقصص تصور - مثلا - شناعة ما كان عليه قوم لوط.. وما كان عليه أهل مدين.. وما كان عليه الطغاة والمفسدون من ظلم وجور ومنع للفقراء.. وتصور شناعة الحسد الذي حمل أحد ابني آدم على قتل أخيه.. وشناعة طبائع اليهود...

وفي جانب آخر تصور ما كان عليه الأنبياء والصالحون من صبر وعدل وعطاء.. وكيف حقق سيدنا سليمان عليه السلام وغيره الخلافة في الأرض على أساس من العدل والخلق والاستقامة...

٦- وثمة أهداف أخرى كثيرة لمن تأملها من «أولي الألباب» مثل التوكل على الله، لاسيما بالنسبة للدعاة والمصلحين، وانتهاج الأسوة الحسنة في الأنبياء، والتجمل بمكارم الأخلاق، وتعلم آداب الحوار، والجدال بالحسنى، وأساليب الدعوة إلى الله تعالى، وكيف يدخل الداعية إلى قلوب المدعوين، ومعرفة طبائع الناس عامة عند كفرهم وإيمانهم، وطبائع أقوام بعينهم مثل بني إسرائيل، وكيفية التعامل معها، وتشخيص أمراض المنحرفين والمعاندين، وكيفية معالجتها، وغير ذلك ...

هذا، ما يتعلق بأهداف القصص القرآني عموماً، أما إن أردنا تفصيلاً أكثر فإننا سنجد أنفسنا أمام بحر لا ساحل له ولا قرار، حيث إن المتدبر لقصص القرآن واجد في كل قصة، بل في كل آية، وفي كل كلمة والتفاتة قرآنية، من الأهداف والعبر والإشارات واللطائف.. ما تعجز عنه الألسن ولا تبلغ مداه الأفهام، وصدق الله العظيم إذ يقول - مبيناً تلك الأهداف العظيمة من القصص -: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [سورة يوسف:١٢/١١١].

وتأمل كيف جاء لفظ [عِبْرَةٌ] منكراً ليفيد الشمول والعموم؟ ففي قصصهم عبرة عن كل شيء، وفي كل شيء من قصصهم عبرة ... ولكن من يستخرج تلك الدرر والجواهر؟!!.. إلا من آتاه الله عقلاً نيراً وقلباً مبصراً.. وذلك جعل العبرة في الآية السابقة قاصرة على الأُولِي الأَلْبَابِ].. {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} [سورة ق: ٥٠/٣٧]. والله تعالى أجل وأعلم .

الفقه الإسلامي

نظام الميراث في القرآن

(الحلقة الثانية)

الأستاذ محمد عناية الله أسد سبحاني
عميد كلية القرآن بالجامعة الإسلامية شانتابورم، كيرالا(الهند)

الفحص عن السند:

ثم إذا فحصنا الرواية من ناحية السند، تأكد عندنا ضعفها وركاكتها؛ فإن من رواتها عاصم الأحول، وهو عاصم بن سليمان الأحول أبو عبد الرحمن البصري، مولى بني تميم، وقد تكلم فيه عدد من أئمة الرجال، قال ابن حجر :

كان يحيى بن سعيد قليل الميل إليه، وقال ابن إدريس: رأيته أتى السوق فقال : اضربوا هذا، أقيموا هذا، فلا أروي عنه شيئا، وتركه وهيب؛ لأنه أنكر بعض سيرته (١٩) .

وقال الذهبي : قال ابن معين: كان ابن القطان لا يحدث عن عاصم الأحول، يستضعفه، وقال يحيى القطان: لم يكن بالحافظ. وقال عبد الرحمن ابن المبارك: قال ابن علية: كل من اسمه عاصم في حفظه شيء . وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالحافظ عندهم، ولم يحمل عنه ابن إدريس لسوء حفظه (٢٠) .

وبالجملة فالرواية التي رويت عن أبي بكر في تفسير الكلالة رواية واهية ساقطة، وهي لا تصلح أبدا لأن يعتمد عليها في تفسير الكلالة .

إذا فالعمدة في تفسير الكلالة هي آية الصيف، كما روي عن نبينا عليه الصلاة والسلام، وآية الصيف تفيد أن الرجل إذا مات ولم يترك من خلفه ولداً، وإنما ترك إخوة، فالإخوة الأشقاء أو الإخوة لأبيه، أو هم جميعا ينزلون منزلة الولد، وهم يرثون ما يرثه الولد، حتى ولو كان الأب على قيد الحياة. والأب لا يكون حاجبا للإخوة، وإنما يرث مع الإخوة، ما يرثه مع الولد، وهو السدس مما تركه المورث .

رواية سبب النزول:

ومما يساعدنا في استيعاب الموضوع، التأكد من سبب نزول آية الصيف، فما سبب نزولها ؟

ذهب المفسرون عموماً إلى أن سبب نزولها ما رواه مسلم وغيره، قال:

حدثني محمد بن حاتم حدثنا بهز حدثنا شعبة أخبرني محمد بن المنكدر قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول : دخل علي رسول الله صلى الله

عليه وسلم، وأنا مريض لا أعقل، فتوضأ فصبوا علي من وضوئه فعقلتُ فقلت يا رسول الله! إنما يرثني كلالة فنزلت آية الميراث، فقلت لمحمد بن المنكدر ! {يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة} ! قال : هكذا أنزلت (٢١) .

وهنا لا بد لنا من وقفة، حتى نستحضر في أذهاننا حقيقة ما روي لنا في أسباب نزول الآيات، قال الزركشي: "وقد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال:"نزلت هذه الآية في كذا" فإنه يريد بذلك أنها تتضمن هذا الحكم، لا أن هذا كان السبب في نزولها، وجماعة من المحدثين يجعلون هذا من المرفوع المسند ...

وأما الإمام أحمد فلم يدخله في المسند، وكذلك مسلم وغيره، وجعلوا هذا مما يقال بالاستدلال، وبالتأويل، فهو من جنس الاستدلال على الحكم، لا من جنس النقل لما وقع (٢٢) .

وقال ولي الله الدهلوي :

" وقد تحقق لدى الفقير أن الصحابة والتابعين كثيراً ما يقولون: "نزلت الآية في كذا" ولا يكون غرضهم إلا تصوير ما تصدق عليه الآية من الأحداث والمعاني، وذكر بعض القصص والوقائع، التي تشملها الآية الكريمة لعموم لفظها، سواء كانت القصة متقدمة على نزول الآية أو متأخرة عنها، إسرائيلية كانت أو جاهلية، أو إسلامية، تنطبق على جميع قيود الآية أو بعضها، والله أعلم" (٢٣) .

وعلى هذا فلا مانع من القول إذا قلنا: إن قصة جابر ليست هي السبب الحقيقي لنزول آية الصيف، وإنما هي مما تصدق عليه الآية بعمومها وشمولها.

سبب نزول آية الصيف:

وأما السبب الحقيقي لنزول آية الصيف، فهو يرجع إلى آيات الميراث، التي سبق نزولها، ووضعها في أول السورة. وبيانه أن الآيات التي جاءت في بيان الميراث قبل آية الصيف، ذكرت أنصبة الإخوة للأم بلفظ صريح واضح، وقد بينا ذلك، وفصلناه فيما مضى .

وأما أنصبة الإخوة لأب وأم، أو لأب فلم تذكر بلفظ صريح واضح، وإنما أومئ إليه إيماء في قوله تعالى: {فإنْ كانَ لهُ إخْوَة فلأمِّهِ السُّدُس} فالآية بسياقها تدل على أن الإخوة ، وهم غير الإخوة الذين ذكروا في الآية التالية، يسدون مسد الولد إذا لم يكن هناك ولد، فإن الأم لا تأخذ السدس إلا في حالة وجود الولد .

فلما قيل: إن الأم ترجع من الثلث إلى السدس في حالة وجود الإخوة، فكأنه قيل: إن الإخوة في حالة عدم الولد يكونون مثل الولد، وهم يأخذون مثل ما يأخذ الولد، وبالتالي يرجع الأب أيضا إلى السدس، كما يكون في حالة وجود الولد .

يبدو أن هذا الإيماء لم يكن واضحاً للجميع، فإن ظهر لأناس، فقد خفي والتبس على آخرين، فكان هناك خلاف ونقاش، وسؤال واستفسار في الموضوع، ومن هنا جاء الاستفتاء فجاءت الفتوى :

{يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [سورة النساء:١٧٦] .

وكانت هذه الآية بيانا واضحا شاملا في الموضوع . وظهر أمر الكلالة بعدها ظهور الشمس في رابعة الضحى، وكم كان الأمر عجيبا حينما قيل: بعد هذا الوضوح والظهور، أن أبا بكر، وعمر، والصحابة كلهم رضي الله عنهم، كانوا في حيرة من أمر الكلالة، بل وكأنهم في ليلة كفر النجوم غمامها! انظر معي تلك الروايات :

رواية عمر في الكلالة :

وحدثنا أحمد بن داود بن موسى قال: حدثنا سهل بن بكار قال: حدثنا أبو عوانة عن جابر عن الحسن عن مسروق عن أبيه قال : سألت عمر بن الخطاب عن قرابة لي ورث كلالة فقال : الكلالة الكلالة الكلالة ثلاثا ثم أخذ بلحيته، فقال : والله لأن أعلمها أحب إلي مما على الأرض من شيء سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :"ألم تكن تسمع إلى الآية التي أنزلت في الصيف؟" مرتين (٢٤) .

تلك الرواية جاءت عن طريق جابر وهو جابر بن يزيد بن الحارث بن عبد يغوث الجعفي أبو عبد الله، قال يحيى بن يعلى قيل لزائدة: ثلاثة لم لا تروي عنهم: ابن أبي ليلى، وجابر الجعفي، والكلبي قال: أما الجعفي فكان والله كذابا يؤمن بالرجعة، وقال أبو يحيى الحماني: عن أبي حنيفة: ما لقيت فيمن لقيت أكذب من جابر الجعفي، ما أتيته بشيء من رأيي إلا جاءني فيه بأثر! وقال يحيى بن يعلى سمعت زائدة يقول: جابر الجعفي رافضي يشتم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن سعد : كان يدلس، وكان ضعيفاً جداً في رأيه وروايته، وقال العقيلي في الضعفاء: كذبه سعيد بن جبير، وقال العجلي: كان ضعيفا يغلو في التشيع وكان يدلس (٢٥) .

ثم الذي رواها عن جابر هو أبو عوانة، وهو وضاح بن عبد الله أبو عوانة الواسطي، صاحب قتادة، قال أبو حاتم: ثقة يغلط كثيرا إذا حدث من حفظه (٢٦) .

وروي عن أبي عوانة سهل بن بكار، قال عنه ابن حبان: ربما وهم وأخطأ (٢٧) .

وهكذا نرى الرواية جاءت عن طريق سلسلة واهية من الرواة !

رواية أخرى عن عمر في الكلالة :

وهناك رواية أخرى، رواها مسلم، وغيره من أصحاب السنن، قال :

حدثنا محمد بن المثنى حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا هشام حدثنا قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة أن عمر بن الخطاب خطب يوم الجمعة ..... وكان فيما قال:

ثم إني لا أدع بعدي شيئا أهم عندي من الكلالة ما راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء ما راجعته في الكلالة، وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيه حتى طعن بإصبعه في صدري، فقال : يا عمر! ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء وإني إن أعش أقض فيها بقضية يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن (٢٨) .

تلك الرواية جاءت عن طريق قتادة، وهو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز أبو الخطاب السدوسي البصري، ولد أكمه.

قال حنظلة بن أبي سفيان : كان طاووس يفر من قتادة، وكان قتادة يرمي بالقدر .

وقال علي بن المديني: قلت ليحيى بن سعيد :إن عبد الرحمن يقول: اترك كل ما كان رأسا في بدعة يدعو إليها قال: كيف تصنع بقتادة؟ وقال معتمر بن سليمان عن أبي عمرو بن العلاء: كان قتادة وعمرو بن شعيب لا يغث عليهما شيء؛ يأخذان عن كل أحد! وقال جرير عن مغيرة عن الشعبي: قتادة حاطب ليل! وقال أبو داود: حدث قتادة عن ثلاثين رجلا لم يسمع منهم (٢٩) .

هذا، والذي روي عن قتادة هو هشام، وهو هشام الدستوائي، مولى بني سدوس، وكان يرمي بالقدر مثل شيخه قتادة، وكان يأتي بالمناكير، ذكر ابن حبان حديثا رواه بشر بن عبد الله القصير، شيخ من أهل البصرة، منكر الحديث جدا، ثم قال: رواه عنه هشام الدستوائي وهذا خبر باطل لا أصل له (٣٠) .

وذكر يونس بن أبي الفرات الإسكاف مولى لقريش، ثم قال: روى عنه هشام الدستوائي ومخزمة بن بكير، منكر الحديث على قلة روايته، لا يجوز الاحتجاج به لغلبة المناكير في حديثه (٣١) .

هذا هشام، وذاك قتادة، راويا هذه الرواية، فكأنه اجتمع الظلام بالغمام، ظلمات بعضها فوق بعض !

وأما متن الرواية، فلعله في غنى عن أي تعليق، وماذا يقال عن شيء يشهد على نفسه، بما فيه من نكارة وكذب !

أنزل الله آية الصيف، وختمها بقوله :{يبين الله لكم أن تضلوا} فإن صحت رواية قتادة وهشام، فما فائدة هذا البيان؟ وهل مثل هذا البيان ينقذ الإنسان من الضلال ؟!

وأين ذكاء عمر رضي الله عنه، وألمعيته، إذا لم ينفعه البيان من الله، ولا البيان من الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى اضطر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن يغلظ له، ولكن الغلظة أيضا لم تغن عنه شيئا ؟!

رواية عقبة بن عامر في الكلالة:

وهناك رواية أخرى رواها أبو بكر بن أبي شيبة قال: حَدَّثَنَا الْمُقْرِئُ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي أَيُّوبَ، قَالَ : حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي الْخَيْرِ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ : أَنَّهُ قَالَ : مَا أَعْضَلَ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم شَيْءٌ مَا أَعْضَلَتْ بِهِمَ الْكَلَالَةُ (٣٢) .

هنا أيضا مثلما قلنا من قبل: ما الذي منع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يرجعوا إلى رسولهم، إذا أعضلت بهم الكلالة ؟

وهل يقال: رجعوا إليه، ولكن الرسول عجز عن كشف غمتهم ؟

أي الموقفين وقفنا، ففيه بلاء، وفيه داء عضال !

وهنا موقف ثالث، وليس أمامنا إلا أن نلجأ إليه، فإنه هو العلاج الوحيد لهذا الداء العضال، وهو أن هذا ليس كلام عقبة بن عامر، وإنما هو كلام المقريء ، راوي هذه الرواية، فمن هو المقرئ؟

هو عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد كيسان المقريء، مولى بني ليث عن أبيه واه بمرة، يكني أبا عباد .

قال ابن معين : ليس بشيء .

وقال مرة : ليس بثقة .

وقال الفلاس: منكر الحديث، متروك .

وقال يحيى بن سعيد : استبان لي كذبه في مجلس .

وقال الدارقطني: متروك ذاهب (٣٣) .

ماذا وراء تلك الجهود؟

تلك روايات، وتلك رواتها، بعجزها وبجرها، ولعل فيها كفاية لمن أراد أن يقدر الموقف، وأراد أن يقدر تلك الجهود المشئومة، التي بذلت لصرف المؤمنين عن شريعة القرآن، حيث جعلوا الواضح البين من شرع الله غامضا عضالا، وأشاعوا أنه لم يقدر على فهمه واستيعابه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى رأسهم أبو بكر وعمر!!

ولم يريدوا بذلك إلا أن يفزعوا الأمة، ويخوفوهم من وعورة الطريق، وخطورة الموقف، فإنه إذا لم يفهمه، ولم يستوعبه هؤلاء الأعلام، فهيهات، هيهات أن نصل إليه نحن الأقزام؟ ثم جاؤوا بركام من الروايات التي تفسر الكلالة تفسيرا، يخالف تفسير القرآن .

وما ينبغي أن ننسى أن من الرواة من كانوا من الموالي، الذين لم تبرأ قلوبهم من الضغن على الإسلام، والحقد على القرآن؛ لأن المسلمين فتحوا

بلادهم، و أزالوا سلطانهم، وجعلوا أعزة أهلها أذلة .

وإذا كان الكذب قد كثر على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأي غرابة في أن يكثر على جلة أصحابه، وخيرة أصدقائه، ولا سيما على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ؟

ولفظ الكلالة هو قطب الرحى في نظام الميراث في الإسلام، فإن فاتنا المعنى الصحيح للكلالة، حدنا عن الطريق، وفاتنا شيء كثير من شريعة القرآن.

نعود إلى الآيات فنقول: إن آية الصيف تفيد أن امرءاً إذا هلك، وليس له ولد، وله إخوة لأب وأم، أو إخوة لأب، فهم ينزلون منزلة الولد، ويرثون كما يرث الولد، وإذا كان الأب موجودا، فهو لا يرث إلا السدس، فضلا عن أن يكون حاجبا لهم .

هذا ما تفيده آية الصيف، وأما إذا قلنا : إن الأب يكون حاجباً للإخوة، فهذا شيء يخالف القرآن، ويوافق ما يوجد في شريعة اليهود؛ فإنه إذا توفي الابن عندهم، وليس له ابن ولا بنت، كان الميراث لأبيه، إن كان موجودا، وإلا فلإخوته الذكور، وإلا فلإخوته الإناث (٣٤) .

مفهوم "إخوة" في الآية :

وتفيد آية الصيف أن أخاً واحداً يجعل الأبوين يأخذان السدس، مثل الابن تماما، كما أن الأخت الواحدة تجعل الأبوين يأخذان السدس، مثل البنت تماما، فإن الأخ أو الأخت نزلا منزلة الابن والبنت في حالة عدمهما، فيكون لهما حكمهما .

ولا نقول: إن القرآن جاء بلفظ الجمع المذكر: {فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ} فلا بد أن يكونوا جماعة، وأقل الجمع ثلاثة، فإذا لم يكونوا ثلاثة، فلا أقل من أن يكونوا اثنين، ولا اعتبار لواحد، كما قيل .

ولا نقول: (إخوة) جمع المذكر، فلا بد أن يكونوا ذكورا، وأما الإناث فلا يحسب لهن حساب في هذا الأمر، كما قيل .

لا نقول ذلك؛ لأن العرب في كثير من الأحيان يطلقون الجمع، ويريدون به الواحد، وما فوق الواحد، ومنه قول امرىء القيس، وهو يصف فرسه:

يزل الغلام الخف عن صهواته ويلو بأثواب العنيف المثقل

قال الزوزني شارح المعلقات :

"... وإنما عبر بصهواته، ولا يكون له إلا صهوة واحدة، لأنه لا لبس فيه، فجرى الجمع والتوحيد مجرى واحد عند الاتساع؛ لأن إضافتها إلى ضمير الواحد تزيل اللبس، كما يقال: رجل عظيم المناكب، وغليظ المشافر، ولا يكون له إلا منكبان وشفتان، ورجل شديد مجامع الكتفين، ولا يكون له إلا مجمع واحد" (٣٥) .

ومنه قول الأعشى في معلقته :

ذاك شبهت ناقتي عن يمين الرع ن بعد الكلال والإعمال

وتراها تشكو إلـ ، وقد صا رت طليحا تحذ صدور النعال

نقب الخف للسر ، فترى الآن ساء من حل ساعة وارتحال

أثرت في جآج ء كإران المـ ت عولين فوق عوج رسال

حيث نرى الأعشى استخدم لناقته كلمة "جآجي" وهو جمع جؤجؤ" بمعنى: عظم الصدر، وقيل: وسطه، وقيل: مجتمع رؤوس عظام الصدر، ولا يكون لناقة أو أي حيوان إلا جؤجؤ واحد، كما قال امرىء القيس عن فرسه:

له جؤجؤ حشر كأن لجامه يعال به رأس جذع مشذب

وقال تابط شرا، وهو يعني نفسه:

فرشت لها صدر فزل عن الصفا به جؤجؤ عبل ومتن مخصر

فالأعشى أطلق في شعره لفظ الجمع، وعني له المفرد، وشواهده كثيرة في كلام العرب، حيث يأتون بلفظ الجمع، ويقصدون به الجمع وأحيانا يقصدون به المفرد .

وكثر في القرآن هذا الأسلوب، كما ورد في نفس الآية {وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالاً وَنِسَاءً} ، فلفظ الإخوة، والرجال، والنساء، جاء جمعا، والمراد به الواحد، وما فوق الواحد، من التثنية والجمع، حسبما يقتضي المقام، فلو كان أخ واحد، وأخت واحدة، فهما يفعلان مثلما يفعل خمسة إخوة وأربع نساء . مثلا . حيث يقتسمون الميراث على قاعدة: للذكر مثل حظ الانثيين.

وكذلك كثر استعمال جمع المذكر للأنثى، ولو كانت واحدة، مثلما جاء في قوله تعالى {قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ} [سورة هود:٧٣] .

فالملائكة استعملوا ضمير الجمع المذكر (عليكم) لامرأة إبراهيم، وهي واحدة فرد. فإنها هي التي تعجبت وصكت وجهها، حينما جاءتها البشرى بالغلام، وما كان كلام الملائكة إلا ردا على تعجبها واستغرابها .

وله شاهد في آية الصيف نفسها، حيث جاء لفظ "إخوة" وجاء بعده تفسيره: "{رجالا ونساء} وهذا يعني بالبداهة، أن "إخوة" يشمل الذكور والإناث .

وعلى هذا:، فلفظ الإخوة في قوله تعالى:{فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ}.

يكون عاماً شاملاً للذكور والإناث، وللمفرد والجمع. فالأخ الفرد يكون له حكم جمع من الإخوة، كما أن الأخت والأخوات يكون لهن حكم الإخوة الذكور .

الإخوة لا يرثون مع البنات :

وتفيد آية الصيف أن الإخوة والأخوات لا يرثون إلا في حالة عدم الولد، والولد يشمل البنين والبنات، فهم لا يرثون إذا وجد أيا من البنين والبنات،

خلافاً لما ذهب إليه الزمخشري حيث قال:

"ومحل {لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ} الرفع على الصفة لا النصب على الحال. أي: إن هلك امرؤ غير ذي ولد، والمراد بالولد الابن، وهو اسم مشترك يجوز إيقاعه على الذكر، وعلى الأنثى، لأن الابن يسقط الأخت، ولا تسقطها البنت (٣٦) .

والطريقة التي لجأ إليها الزمخشري في الاستدلال على رأيه، لا تخلو من ضعف، فهل فتاوى الناس وآراؤهم تكون قاضية على كتاب الله؟ وهل يكون تحديد معاني الكلمات والآيات بما قاله الناس، أم نخضع كلام الناس وآراءهم لكتاب الله، ونقول: كتاب الله هو القاضي، والحاكم، والمهيمن على الجميع ؟

وهناك روايات تحمل هذا المعنى، ولعل الناس ركنوا إلى هذا المعنى اعتماداً عليها، فلا بأس بأن تكون لنا وقفة عندها، حتى نعجم عودها، ونخبر خبرها .

قال ابن حبان: أخبرنا أحمد بن يحيى بن زهير، بتستر قال: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، قال: حدثنا إسحاق الأزرق عن مسعر بن كدام، عن أبي قيس، عن هزيل بن شرحبيل، عن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم في ابنة، وابنة ابن، وأخت، قال:"للابنة النصف، ولابنة الابن السدس، وما بقي فللأخت" (٣٧) .

وقال أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد بن محمد الروذباري، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمويه العسكري، ثنا جعفر بن محمد القلانسي، ثنا آدم بن أبي إياس، ثنا شعبة، ثنا أبو قيس، قال: سمعت هزيل بن شرحبيل، يقول: سئل أبو موسى الأشعري عن ابنة، وابنة ابن، وأخت؟ فقال: للابنة النصف، وللأخت النصف، قال: وائت ابن مسعود فسيتابعني، فسئل عنها ابن مسعود، وأخبر بقول أبي موسى، قال: قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين، أقضي فيها بما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم : للابنة النصف ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين، وما بقي فلأخت، قال: فأتينا أبا موسى الأشعري فأخبرناه بقول ابن مسعود، فقال: لا تسألوني عن شيء ما دام هذا الحبر فيكم (٣٨) .

جاءت هاتان الروايتان عن طريق أبي قيس، وهو عبد الرحمن بن ثروان، أبو قيس الأودي، قال عبد الله بن أحمد: سألت أبي عنه فقال: هو كذا وكذا، وحرك يده، وهو يخالف في أحاديث. وعن أحمد قال: لا يحتج به (٣٩). وقال أبو حاتم: ليس بقوي، هو قليل الحديث، وليس بحافظ ..

وذكره العقيلي في الضعفاء (٤٠) .

ومن رواة البيهقي جعفر بن محمد القلانسي، قال عنه الخطيب: "يروي عنه محمد بن فارس العطشي، وهو رافضي بغيض (٤١) .

والذي روى عنه القلانسي، آدم بن أبي إياس، وهو عبد الرحمن بن محمد،

ويقال ناهية بن شعيب الخراساني أبو الحسن العسقلاني، قال عنه ابن معين : "ثقة، ربما حدث عن قوم ضعفاء" (٤٢).

وهيهات أن يكون الرجل ثقة، إذا حدث عن قوم ضعفاء؟!

وعلى أية حال، فالروايتان ليستا بحيث يحتج بهما، ويبنى عليهما حكم، وماذا بقي في الرواية، إذا كانت تخالف نص القرآن ؟

ثبت المراجع:

١. تهذيب التهذيب ٤٣/٥.
٢. ميزان الاعتدال ٣٥٠/٢، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٣. صحيح مسلم، باب ميراث الكلالة ١٢٣٥/٣.
٤. البرهان في علوم القرآن ٣٢/١، ٣١ ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية .
٥. الفوز الكبير في أصول التفسير للإمام ولي الله الدهلوي ١٦٢، كلية الشريعة وأصول الدين بدار العلوم لندوة العلماء، لكناؤ، الهند، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م
٦. مشكل الآثار للطحاوي ٤٥٤٦/٣٧٥/١١، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.
٧. تهذيب التهذيب ٤٩/٢.
٨. ميزان الاعتدال ٣٣٤/٤.
٩. ثقات ابن حبان ٢٩٢/٨، دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
١٠. صحيح مسلم، باب نهي من أكل ثوما ٣٩٦/١.
١١. تهذيب التهذيب ٣٥٣/٨.
١٢. كتاب المجروحين لابن حبان، تحقيق: محمود إبراهيم زائد ١٨٧/١، باب الباء، دار المعرفة، بيروت، لبنان .
١٣. كتاب المجروحين لابن حبان، تحقيق: محمود إبراهيم زائد ١٣٩/٣، باب الباء.
١٤. مصنف ابن أبي شيبة ٤٠٣/٧، مكتب الدراسات والبحوث في دار الفكر.
١٥. ميزان الاعتدال ٤٢٩/٢.
١٦. الأحكام الشرعية ٣/٢، ١٣٩/١٧٠، والمقارنات والمقابلات :٢٣٤، نقلاً من كتاب: الميراث في الشريعة الإسلامية للدكتور ياسين أحمد إبراهيم درادكه:٣٦ مؤسسة الرسالة
١٧. شرح المعلقات السبع للزوزني ت: محمد عبد القادر الفاضلي ص: ٦٧، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.
١٨. الكشاف عن حقائق التنزيل ٥٩٨/١.
١٩. الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٦٠٠٢/٦١٠/٧، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٢٠. السنن الصغرى ٢٣٨٩/١٨٥/٢، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.
٢١. ميزان الاعتدال ٥٥٣/٢.
٢٢. تهذيب التهذيب ١٥٣/٦
٢٣. ميزان الاعتدال ٣/٤
٢٤. تهذيب التهذيب ١٩٦/١ .

بحث قصير حول مسألة المضاربة في البورصات :

المضاربة في البورصات وحكمها الشرعي

بقلم: الدكتور خورشيد أشرف إقبال الندوي
رئيس المعهد الإسلامي العالمي، لكناؤ (الهند)

تزايدت النوازل في العصر الحاضر بشكل كبير، حتى بلغ حجم المستجدات والأحداث في الآونة الأخيرة كل ما سبقه منذ القرن بكامله .

ومن أهم الموضوعات المستحدثة التي دار حولها جدل وخلاف في الأوساط الاقتصادية والدينية مسألة البورصات وما تجري فيها من عمليات البيع والشراء عموماً، والمضاربة على الهبوط والصعود على وجه الخصوص .

فنحن نرى أنها من ناحية تؤثر في تكوين اقتصاد البلاد ودفع عجلة التنمية الاقتصادية فيها، ومن ناحية أخرى تؤدي إلى تهديد استقرار البلاد وانهيار اقتصادها .

ومن ثم كانت الحاجة ماسة إلى كشف غموضها وتحليلها وتعليلها وتقويمها في ضوء مقررات الشريعة الإسلامية، ليكون المسلمون على بينة من أمرهم، فيتعاملوا في هذه الأسواق بجد وحذر، ويأكلوا الحلال ويجتنبوا الحرام .

وإذا كان الحكم على الشيء فرعاً من تصوره، فإنني حاولت القيام في البداية بتقديم تصور واضح للمضاربة في الاقتصاد والقانون الوضعيين، ثم قمت ببيان حكم الشريعة في هذه المسألة الشائكة، مستعيناً بالله تعالى أن يجنبني الخطأ والزلل، فهو نعم المولى ونعم النصير .

وقسمت البحث إلى محورين :

المحور الأول: المضاربة من الناحيتين القانونية والاقتصادية

أ- مفهوم المضاربة :

المضاربة في سوق الأوراق المالية هي ترجمة للكلمة الإنجليزية (Speculation) وهي ترجمة غير صحيحة؛ لأن الترجمة اللغوية لهذه الكلمة هي التفكر والتأمل، أو التنبؤ والتخمين [1] .

---

1 - انظر: قاموس المورد، منير البعلبكي ص: ٨٨٦ .

وإذا كان التفكر والتأمل يحملان معنى حسن التقدير، والتحليل القائم على أسس منطقية، فإن التنبؤ والتخمين يفتقدان هذه الميزة، ويحملان معنى المخاطرة والمقامرة .

والمضاربة بصورة عامة في الاقتصاد الوضعي، هي: «شراء شيء رخيص في وقت ما لغرض بيعه بسعر أعلى في وقت آخر» [1] .

وقد توصف المضاربة بأنها مراجحة [2] عبر الوقت، أي: الشراء في وقت ما والبيع في وقت آخر، ففي هذه الحالة لا يمكن معرفة الأسعار إلا بالتقدير الذي لا يمكن أن يكون صحيحاً أو خاطئاً، وهي عكس المراجحة عبر المكان، أي: الشراء في مكان، والبيع في مكان آخر، فالأسعار معروفة في هذه الحالة .

وبهذا المفهوم تعدّ كل المعاملات في عداد المضاربات [3] .

أما المضاربة في سوق الأوراق المالية، فإنها وجدت عندما ظهرت طبقة من المتعاملين في البورصة يشترون الأوراق المالية بقصد إعادة بيعها عند ارتفاع أسعارها والحصول على فارق السعر كربح رأسمالي [4] .

وقد عرفها الاقتصاديون بتعريفات عدة، نذكر منها ما يأتي :

«عملية بيع أو شراء يقوم بها أشخاص بناء على معلومات مسببة؛ للاستفادة من الفروق الطبيعية لأسعار السلع، سواء كانت أوراقاً مالية أو بضائع» [5] .

«التعاقد على عملية مستقبلية يتنبأ بأنها ستكون مربحة سواء من خلال ارتفاع أسعارها، أو من خلال تجنب حدوث خسائر فيها» [6] .

«مثل بيع أو شراء صوريين، لا بغرض الاستثمار ولكن للاستفادة من

---

1 - الموسوعة الاقتصادية حسين عمر، ص:٤٤٠.

2 - المراجحة : تعني شراء عملات أجنبية أو أسهم أو سندات أو فضة أو ذهب أو بعض السلع العالمية الأخرى؛ لبيعها في سوق أخرى، بهدف الحصول على ربح نتيجة لظروف الأسعار في الأسواق أو فروق الفائدة (انظر: Investments Foreman & Company,England 1989, Kolb. R. scott. P.36)

3 - انظر : المرجعين السابقين نفسيهما .

4 - (انظر: The Shorter Oxford English Dictionnary on historical principles. Volume 11 Marl –z & Adenda p. 2069(Clarendon Press Oxford)

5 - الأسواق والبورصات، مقبل جميعي ص: ١٢٢ .

6 - كيف تتعلم البورصة محسن الخضيري ص: ٤٧ (Dictionnary of banking and finance p. 226(3rd ed.peter collin publishing ltd. N.y.)

التغيرات التي تحدث في القيمة السوقية للأوراق المالية في الأجل القصير جداً، حيث ينخفض بشدة معدل الارتباط بين القيمة السوقية للأوراق المالية من ناحية، وبين القيمة الاسمية والدفترية (الحقيقية) من ناحية أخرى» (١).

وبالنظر في هذه التعريفات نجد أن بعضها تقصر المضاربة عند حد الاستفادة من صحة التوقع، وبعضها تعدها تنبؤا بالحالة الاقتصادية لتحقيق الأرباح في حالة صحته، في حين تؤكد بعضها على أن المضاربة تشتمل على التعامل على المكشوف، وعلى التعامل الصوري، وتشير إلى ضعف الترابط بين القيمتين السوقية والحقيقية وقت المضاربة، وتصر على صورية البيع والشراء.

وهكذا نرى، أنها إن ركزت على جانب أو أكثر، تجاهلت جوانب أخرى، أو أصرت على وصف قد تحدث المضاربة بدونه.

ولذا أرى أن نعرف المضاربة كالآتي:

«المضاربة يقوم بها أشخاص محترفون، يرغبون في الكسب من جراء صحة توقعاتهم في المدى القصير جداً، حيث ينخفض معدل الارتباط بين سعري السهم السوقي والحقيقي، وكثيراً من يلجأون إلى عمليات صورية وحيل وتلاعب، كما لا تخلو هذه العمليات من القمار المبنى على التخمين».

فهذا التعريف يتضمن العناصر التالية:

- يبرز جانب الاحتراف في القائمين على المضاربة.
- يوضح أن هدف المضارب تحقيق الأرباح في حالة صحة التوقع دون التركيز على عائد التوزيعات.
- لا يتجاهل أهمية المدى الزمني القصير، والذي لا تخلو منه المضاربة.
- يشير إلى ضعف الترابط بين قيمتي السهم السوقية والحقيقية من جراء المضاربة.
- يبين أن كثيراً من عمليات المضاربة تقع صورية، إضافة إلى الحيل والتلاعب.
- يؤكد أن بعض عمليات المضاربة لا تخلو من القمار القائم على التخمين.

ب- سمات المضاربة وخصائصها:

تتلخص أهم سمات المضاربة فيما يأتي:

١- **سرعة حركة التداول**، بمعنى استمرارية الشراء والبيع على نفس

١- أسواق الأوراق المالية، أحمد محي الدين ص: ٤٨٤ ـ ٤٨٥، انظر أيضاً: السياسة المالية، عبد الكريم الخطيب ص:١٨٣.

الأسهم، وبمعدل دوران كبير في وقت قصير حتى يحصل المضاربون في كل دورة على ربح، مما يعظم منافعهم، وهذا الأمر وإن كان يسهم في تنشيط العمل بالبورصة، إلا أنه ـ في الوقت ذاته ـ يؤدي إلى التأثير غير السليم على أسعار الأرواق المالية، ويضر بالمتعاملين الآخرين في تلك السوق، لأنه يجعل سعر الأسهم يرتفع في ساعات وربما أقل من ذلك، في حين أن نشاط الشركة المصدرة للسهم، ومركزها المالي لم يتغير في هذه الساعات.

٢- قيام المضاربة على المخاطرة، والتي تعني عدم التيقن، وقد تزيد هذه المخاطر إلى درجة المراهنة أو المقامرة، وتكون نتيجة التعامل فيها مجهولة العاقبة.

٣- تقلب الأسعار باستمرار، حتى تكون هناك فروق أسعار يحصل عليها المضاربون كربح، وبالطبع فإن التقلب الناتج عن تغير في قيمة ما تمثله الورقة من حق لا يتأتى بالسرعة المطلوبة للمضاربين، وبالتالي فإنهم يعمدون إلى التأثير على الأسعار لتزيد بنقص العرض، ولتقل (بنقص) الطلب ولو بشكل صوري، وباتباع الممارسات غير الأخلاقية: من استغلال ثقة المتعاملين والاحتكار وغير ذلك.

٤- **توفير السيولة في البورصة**، وهذا أمر غير مؤكد، إذ أن توقعات معظم المضاربين تميل عادة إلى اتجاه واحد، فإذا توقعوا انخفاضاً في الأسعار في المستقبل كانت السيولة في اتجاه واحد، بمعنى أن النشاط في البورصة سيميل إلى الشراء، ويصعب البيع، وهذا ما حدث يوم الاثنين الأسود على سبيل المثال ١٩/١٠/١٩٨٧م.

٥- **التعامل بكميات كبيرة** تسمح بالحصول على ربح كبير، والتحكم في الأسعار لصالح (المضاربين) وبذلك يسعى المضاربون إلى الاحتكار والتواطؤ بين كبار المتعاملين منهم ليعمل السوق لصالحهم، وهذا أمر ضار.

ومما يؤكد ذلك، لجوء المضاربين إلى أساليب البيع القصير، والشراء بالهامش، والاختيارات والمستقبليات، بهدف توظيف أموال تزيد كثيراً عن مواردهم، وبهدف تعظيم الكميات التي يتعاملون بها لتعظيم عوائدهم (١).

١- انظر عن السمات والخصائص: الشركات العاملة في مجال الأوراق المالية، محمد عمر ص: ٨٣ ٨٤ التفسير الإسلامي لأزمة البورصات، محمد عمر ص: ٦٦ـ ٦٧، أسواق النقد والمال، محمد البنا ص: ٣٣، أسواق الأوراق المالية، أحمد محي الدين ص: ٥٠٩ وما بعدها.

ج - أنواع المضاربة :

يوجد في سوق الأوراق المالية نوعان من المضاربة، هما :

١- **مضاربة على الصعود** (Speculate on a rise _ Bull transaction) :

وهي تصرف المضارب الذي يقوم بشراء أوراق مالية لأجل بغية بيعها ثانية بسعر أفضل عند التصفية وقبض الفارق .

فعندما يتنبأ المضارب بارتفاع الأسعار، يقوم بالشراء لأجل، وعندما يرتفع السعر حسب توقعه، فإنه يقوم بالبيع، ويتمثل ربحه في الفرق بين السعر الذي اشترى به، والسعر الأعلى الذي باع به بعد خصم المصاريف وعمولة السمسار .

وهذه الطريقة مطبقة في المضاربة على عقود السلع، أما المضاربة على صعود في الأوراق المالية فغالباً ما يعمد المضاربون إلى الاختيارات، حيث يشتري المضارب حق شراء الأسهم التي يتوقع ارتفاع أسعارها، وحينما يصدق توقعه يستخدم حقه في شراء الأسهم لبيعها بالسعر الأعلى (سعر السوق) أو قد يقبل استلام الفرق دون استلام الأوراق المالية (١) .

٢- **مضاربة على النزول** (To Speculate on a fall Bear)

وهي تصرف المضارب الذي يقوم ببيع أوراق مالية لأجل (البيع على المكشوف) متوقعا هبوط الأسعار .

فعندما يتوقع المضارب أن السعر سينخفض، يقوم بالبيع لأجل على المكشوف (أي يبيع ما ليس عنده) وحينما يصدق توقعه وينخفض السعر، يقوم بشراء ما سبق له أن باعه، ويتمثل ربحه في الفرق بين السعر الأعلى الذي باع به، والسعر الذي اشترى به مطروحا منه المصاريف وعمولة السمسار، ويجري العمل بهذا الأسلوب على نطاق واسع في بورصات العقود .

أما المضاربة على النزول في الأوراق المالية، فيعمد المضارب كذلك إلى الاختيارات؛ حيث يشتري حق بيع الأوراق المالية التي يتوقع انخفاض أسعارها، وحينما يصدق توقعه، ويستخدم حقه في بيع الأوراق المالية التي انخفض سعرها بسعر الممارسة الذي يزيد عن سعر الأسهم في السوق في تاريخ الممارسة، ولا مانع لدى المضارب من أن يشتري هذه الأسهم من السوق بالسعر المنخفض، ليبيعها بسعر الممارسة لبائع حق الاختيار، ويتمثل ربحه في فرق السعرين بعد خصم

---

١ - انظر : الأوراق المالية، أحمد محي الدين ص:٤٩٧، أسواق الأوراق المالية سمير رضوان، ص: ٣٣٤ عمل شركات الاستثمار أحمد محي الدين ص: ٢٥٣.

المصاريف، وقد تتم العملية - وهذا هو الغالب - بتصفية المراكز بالفروق (١) .

يتضح مما سبق أن المضارب في سوق الأوراق المالية يباشر عملياته على أساس تقديراته لاتجاهات السوق، ويأخذ في الاعتبار العوامل المختلفة التي يمكن أن تسيطر على الأسعار وتؤثر فيها، فإذا بدا له أن من شأن هذه العوامل ان تؤدي إلى زيادة تلك الأسعار، فإنه يتخذ قراره بالإقدام على الشراء بقصد إعادة البيع عندما يتحقق الارتفاع المنشود، أما إذا تراءى له أن العوامل المشار إليها من شأنها أن تؤدي إلى حدوث انخفاض في الأسعار، فإنه يبيع الأوراق المالية على أن يعيد شراءها بأسعار أقل .

وهكذا تكون عمليات المضارب رهنا على تقديراته وتوقعاته، فإذا صح ذلك، فإنه يحصل على الأرباح، سواء كانت المضاربة على النزول أم على الصعود، وأما إذا حدث عكس ذلك فإن المضارب يخسر في عملياته، ولكنه لا يكون مطالباً بدفع ثمن ما يشتريه من أوراق مالية أو تسلمها، أو بتسليم ما يبيع من أوراق مالية وقبض ثمنها، ما دام أنه يستطيع أن يصفي مركزه قبل حلول مواعيد الاستحقاق، حيث لا يكون عليه إلا أن يقبض أو يدفع فرق الأسعار، وهو مقدار ربحه أو خسارته، وفي هذه الحالة يلجأ المضارب عادة إلى عملية التغطية .

هذا، ويمكن القول إن المضاربات في سوق الأوراق المالية تشتمل على نوعين من الممارسات:

١- **الممارسات المشروعة**: وهي التي تعتمد على النبؤ بالتذبذب في الأسعار التي ستحدث في المستقبل القريب وتكون خالية من الكذب والتدليس والإشاعات والاحتيال، وكل ما من شأنه الإيقاع بالآخرين والإضرار بهم، ورفع أسعار الأوراق المالية المتداولة بالتلاعب بما يضر بالسوق .

ويرى الاقتصاديون أن الممارسات المشروعة هي القوة المنشطة لسوق الأوراق المالية، فبدونها تظل السوق راكدة؛ لأنها تسهم في زيادة عمليات البورصة، ومن ثم ترشد إلى الأسعار الأقرب إلى المنفعة القصوى، كما أنها - في الوقت ذاته - تحد من التقلبات والتموجات الشديدة في الأسعار .

وتؤدي الممارسات المشروعة الوظائف الاقتصادية الآتية :

١- التوفيق بين العرض والطلب: حيث يقوم المضاربون بشراء الأوراق المالية عندما تنخفض الأسعار، وهذا العمل يحد من استمرار الانخفاض نظرا

---

١ - انظر: المراجع السابقة نفسها .

لازدياد الطلب، وكذلك يبيعون ما بحوزتهم من أوراق مالية حينما ترتفع الأسعار، وينتج عن ذلك، الحد من استمرار الارتفاع، بسبب ازدياد العرض، وهكذا تعمل الممارسات المشروعة على تقليل الفارق بين الأسعار.

٢- تفعيل حركة السوق: حيث تعمل على تشجيع حركة التداول في سوق الأوراق المالية سواء أكانت الكمية كبيرة أم صغيرة، مما يزيد من ازدهار البورصة وتعاظم دورها، بحيث لا يؤثر في هذه الحالة وجود طلب على جانب من الأهمية في زيادة السعر؛ لأن الحركة نشطة بطريقة طبيعية، وبالتالي فإن الطلب الكبير يتم دون إرباك للأسعار، إذ توجد أطراف عديدة على الجانب الآخر يطمعون في الحصول على الفائدة، فهي بذلك تساعد في إيجاد توازن للمعادلة الاقتصادية، وتقوم بدور المنظم في السوق، فبفضلها يمكن إتمام عمليات كبيرة دون إصابة السوق بآثار مفاجئة بالزيادة أو الانخفاض في السعر.

٣- تغطية الاكتتاب العام: قد يقبل الجمهور على بعض الأسهم الجديدة للشركات لتوفر الثقة فيها، وجودة الدعاية والإعلان، فلا يكاد يفتح باب الاكتتاب العام حتى يغطي عدة مرات، إلا أن هناك العديد من الأسهم التي لم تظهر مزاياها للمستثمرين، وبالتالي لا تكون موضع الإقبال الكافي من قبل الجمهور، بالرغم من جودتها أحياناً، ومن ثم لا يتم تغطية الاكتتاب بالكامل، ففي هذه الحالة يقوم المضاربون بشراء هذه الأسهم التي لم يستفدها الاكتتاب، ويحتفظون بها إلى أن يبيعوها في نهاية الأمر عندما تثبت ثقة المستثمرين فيها، ويحصلون على أرباح مناسبة ([1]).

ب- **الممارسات غير المشروعة**: وهي التي تعمل في إحداث ارتفاع أو انخفاض مصطنع في أسعار الأوراق المالية المتداولة بطرق احتيالية مثل: الغش والنصب والتدليس والاحتكار وترويج الإشاعات وتقديم المعلومات المضللة، وكذلك الشراء بالهامش والبيع على المكشوف والبيع الصوري والتعامل بالاختيارات والمستقبليات والمؤشرات، وذلك بغرض الاستفادة من فروق الأسعار.

وتتمثل أساليب التلاعب التي تؤثر في تكوين الأسعار المصطنعة بسوق الأوراق المالية فيما يأتي:

١- العمليات التي تهدف إلى خفض كبير في أسعار الأسهم لشركة

---

[1] - انظر: الممارسات غير المشروعة في بورصات الأوراق المالية، صالح بربري ص: ٢٨٢_٢٨٣ الشركات العاملة في مجال الأوراق المالية محمد عمر ص: ٨٥_٨٦ الاستثمار بالأسهم والسندات صالح جابر ٢٥٠_ ٢٥١. بورصة الأوراق المالية محمود زويل ص: ٥٠_٥١.

معنية عن طريق بيع كميات كبيرة منها وربما على المكشوف، دون أن يكون هناك سبب يتصل بالأداء الاقتصادي للشركة يبرر هذا الانخفاض، تتبعه عمليات شراء أخرى لكميات كبيرة من هذه الصكوك بأسعار منخفضة جداً، مما ينتج عنه تحقيق أرباح كبيرة عندما تعود الأسعار إلى سعرها الطبيعي بعد ذلك.

٢- العمليات التي تهدف إلى رفع السعر، وذلك عن طريق الشراء بالطريقة السابقة نفسها بأسعار مرتفعة لسهم معين لكي تضاعف سعر البيع عن السعر الطبيعي للسوق، ويطلق على هذه الطريقة اصطلاح «الغلاية» (Bouilloire).

العمليات التي تتم عن طريق نشر أخبار كاذبة وإشاعات، والقيام بعمليات بيع موازية، «بطريقة آلية» مقاربة أو في نفس مستوى الانخفاض، لكي تزيد من الاتجاه نحو الانخفاض، فالممارسات غير المشروعة ترتبط عادة بنشر أخبار كاذبة أو مخادعة، حيث إنها تقوم على الغش والنصب ونشر الإشاعات التي تطلق بين عامة الناس.

وكذلك المبالغة في الأحداث الحقيقية التي تهدف إلى بث أفكار معينة حول سهم ما ليرتفع ثمنه مثلاً، أو كي ينخفض سهم آخر نظراً لظروف معينة، فهذه الطرق الاحتيالية تهدف إلى خلق فارق سعري مصطنع وعرقلة الأداء الطبيعي للعرض والطلب ([1]).

د- **أنواع المضاربين**:

يتنوع المضاربون في سوق الأوراق المالية إلى أنواع عدة ولاعتبارات مختلفة.

فمن حيث القدرة المادية والدراية يمكن تقسيمهم إلى:

١- **صناع السوق**: وهم كبار المتعاملين في الشركات العاملة في مجال الأوراق المالية، وكبار التجار، وصناديق الاستثمار، وصناديق التأمينات، والمعاشات، وبعض البنوك، وعملهم في المضاربة يؤثر على السوق من ناحية قدراتهم المالية وثقلهم في التعامل، إضافة إلى أن عملهم يقوم على دراسات وتحليلات لأحوال السوق.

---

[1] - انظر: الممارسات غير المشروعة، صالح بربري ص: ٢٨٦، وما بعدها، الشركات العاملة في مجال الأوراق المالية، محمد عمر ص: ٨٦، وما بعدها، الاستثمار بالأسهم والسندات، محمد جابر ص: ٢٥٠، وما بعدها، أسواق الأوراق المالية، سمير رضوان ص: ٣٢٨، وما بعدها، التفسير الإسلامي لأزمة البورصات العالمية، محمد عمر ص: ٧٠ وما بعدها.

٢- بعض الأفراد والجهات من صغار المتعاملين الذين لديهم القدرة على دراسة أحوال السوق والتنبؤ بالأسعار وفق أسس فنية وعلمية وواقعية، بيد أن حجم تعاملاتهم لا يمكنهم من التأثير على السوق.

٣- بعض الأفراد والجهات من صغار المتعاملين الذين ليس لديهم القدرة على دراسة السوق، كما أن حجم تعاملاتهم لا يمكنهم من التأثير على السوق، ويطلق عليهم في عرف البورصة السذج أو القطيع.

ومن حيث الدراية والمعرفة إلى:

١- **المضارب المحترف**: وهو الذي تتوفر لديه الخبرة والإلمام الواسع بالسوق واتجاهاته، ويعتمد على جهاز مختص من الفنيين المحليين لعوامل السوق المختلفة، وهو يمتهن هذا العمل ويتخصص فيه، ويهدف إلى تحقيق أكبر عائد ممكن في أقل فترة ممكنة، حتى ولو أدى ذلك إلى تحمله أقصى درجات المخاطرة في مجال الاستثمار، كما أنه لا يرغب في وجود المضارب الهاوي لتأثيره المعاكس على أدائه.

المضارب الهاوي: وهو الذي يزاول في الحقيقة عملاً آخر بصفة أساسية، بيد أن أرباح المضاربة تستهوية، فيدخل السوق بهدف توظيف بعض مدخراته، ويقوم بالمضاربة دون علم أودراية أو خبرة، ومن ثم يأخذ قرارات عشوائية تكون أقرب إلى المقامرة، حيث إن منهم من يعتمد على ما يروج من إشاعات، ومنهم المغامرون الذين يقبلون على الأوراق المغمورة أملاً في ارتفاع شأنها، ومنهم القطيع الذي ينقاد بسهولة وراء الآخرين (١).

(للبحث صلة)

☆☆☆

١ - انظر: عن أنواع المضاربين: الشركات العاملة في مجال الأوراق المالية، محمد عمر ص: ٨٤ـ ٨٥ إدارة المنشآت والأسواق المالية، خيري الجزيري ص: ٩٤. ٩٥، أسواق الأوراق المالية أحمد محي الدين ص: ٤٩٨ـ ٤٩٩، بورصة الأوراق المالية، محمود زويل ص: ٥٢، الأسواق والبورصات مقبل جميعي ص: ١٢٣ـ ١٢٦، بورصات الأوراق المالية والقطن، إبراهيم أبو العلاء ص: ٣١، التفسير الإسلامي لأزمة البورسات محمد عمر ص: ٦٩.

دراسات وأبحاث

الأدب العربي السعودي مسيرته ومميزاته

(الحلقة الثانية الأخيرة)

بقلم: الدكتور عرفات ظفر
قسم اللغة العربية وآدابها جامعة لكناؤ، لكناؤ(الهند)

إن الصحافة في أوائل العهد السعودي لعبت دوراً كبيراً في النهضة الأدبية وتركت أثراً ملموساً على الحركة الفكرية في المملكة العربية في حين لم تكن هناك مؤسسات أو دور للنشر يستفيد منها الأدباء والمثقفون في البلاد، فكانت الصحافة هي الساحة الكبرى لنشر الإنتاج الأدبي وإذاعته بين القراء، وعلى صفحات تلك الصحف والمجلات لمعت أسماء الشعراء والكتاب وسالت أقلامهم على أنهار الصحف تحاول أن تثبت بإصرار أن في المملكة العربية نهضة أدبيةلا تنكر، وكانت الصحافة بمثابة الكتاب الأدبي والديوان الشعري إلى فترة غير قصيرة، قبل أن يتوجه الكتاب والشعراء في المملكة إلى نشر إنتاجهم في صورة كتب و دواوين مستقلة.

أما المؤلفات الأولية، فلا شك في أنها تركت أثراً بالغاً على مسيرة الأدب السعودي كما لعبت دوراً بارزاً في دفع الحركة الأدبية والثقافية في المملكة إلى الأمام وشجعت الكتاب الناشئين والشعراء الناهضين على الكتابة والطباعة، فمن هذه التأليفات الأولى «أدب الحجاز» للشيخ محمد سرور الصبان، فهو أول إصدار أدبي، طبع ونشر بعد تأسيس المملكة العربية السعودية في الجزيرة، فقد أصدره زعيم أدباء تلك الفترة الأستاذ محمد سرور الصبان (ت: ١٣٩٢هـ).

أما ميلاده ففي عام ١٣٤٤هـ/الموافق ١٩٢٦م ويضم هذا الكتاب آثاراً شعرية ونثرية لمجموعة خمسة عشر أديباً وشاعراً شاباً لتلك الفترة، وقد ألقى الأستاذ محمد على المغربي بعض الأضواء على أهمية هذا الكتاب وقيمته قائلاً:

«وللشيخ محمد سرور مأثرة أدبية كبرى ينفرد بها حين يكتب التاريخ الأدبي للحجاز، فقد كان أول من أصدر كتاب «أدب الحجاز وكتاب«المعرض»..... وكتاب «أدب الحجاز» بالذات أول مؤلف يضم شعر أدباء

الحجاز في الأربعينات من هذا القرن الهجري، كما كان أول صوت يسمع في داخل المملكة، وخارجها عن الأدب والأدباء، وقد جاء هذا الكتاب بعد فترة من الركود والخمول منذ أواخر العهد التركي وخلال العهد الهاشمي، فكان ظهور أدب الحجاز بشيراً بفجر النهضة الأدبية في الحجاز، وهو على صغر حجمه لم يكن إلا تعبيراً شديد الاختصار عن ولادة الأدب الحديث في هذه البلاد، ..... وكتاب «أدب الحجاز» هو كتاب شعري، بينما كتاب «المعرض» هو كتاب نثري» (١).

ومهما يكن من الأمر فإن «أدب الحجاز» سيظل معلماً بارزاً في تاريخ الأدب الحديث في المملكة باعتباره الإصدار الأول على الإطلاق، وعلاوة على ذلك قد أثار هذا الكتاب في نفوس الأدباء والكتاب الشباب نوعاً من الثقة والتحمس للتأليف ونشر الكتب، فنادوا بتأسيس جهة تتولى النشر وإصدار آثارهم الأدبية في شكل مطبوع للقراء، فبادر الشيخ سرور الصبان وتولى المسئولية عن تأسيس تلك الجهة وإدارتها، وسماها «المكتبة الحجازية» التي يمكن اعتبارها أول دار للنشر والطباعة.

في هذه المنطقة ومن المكتبة الحجازية نفسها صدر عام ١٣٤٥هـ الإصدار الثاني ضمن سلسلة الإصدارات الأدبية الأولى باسم كتاب «المعرض» الذي قام بتأليفه ونشره أيضاً الشيخ محمد سرور الصبان، وكان القصد من «المعرض» كما يوحي عنوانه أن يكون معرضاً فكرياً وأدبياً لأدباء ذلك العهد، فيحمل هذا الكتاب آراء مجموعة مختارة من أدباء الحجاز في اللغة العربية وآدابها، ونظراً لهذه الخدمات الأدبية والشعرية والنشاطات الثقافية ولاهتمامه البالغ بشؤون الأدباء والكتاب الشباب ونشر إنتاجهم يعد الشيخ الصبان رائد النهضة الأدبية الحديثة في المملكة العربية السعودية.

وعلى هذا النحو يمتاز الأستاذ الأديب محمد حسن العواد (ت: ١٤٠٠هـ) من معظم أدباء عصره، بحيث إنه الوحيد من بينهم الذي اجترأ وأصدر كتاباً لم يشاركه فيه أحد، وهو كتاب «خواطر مصرحة» ثالث الكتب من سلسلة التأليفات الأدبية الأولية في هذه البلاد، وهو مجموعة من الخواطر والمقالات التي تعالج القضايا الأدبية والاجتماعية وصدر هذا الكتاب أيضاً عن المكتبة الحجازية عام ١٣٤٥هـ، و وصفه الشيخ سرور الصبان تحت كلمة الناشر لهذا الكتاب بقوله: وهذه الخواطر إنما هي العنوان البارز لهذه اليقظة، هي إنجيل الصورة الفكرية في هذه البلاد، لقد اطعلت على مقالاتها، فأعجبت بها ولمست فيها الفكر القائد والوعي الموجه والفن الرفيع (٢).

فقد حدد الأستاذ العواد في هذه الخواطر اتجاهه الأدبي بكل وضوح، فهو يرفض التقليد إلى درجة البغض والكراهة، حتى ولو كان لفحول الشعراء القدامى، فهو يدعو إلى أدب الجدة والابتكار وإلى توظيف الأدب في شئون الحياة. ولهذا الغرض دعا شعراء جيله إلى التمرد على الشكل التقليدي للقصيدة العربية وأيد نظرية الشعر الحر، كما أنه نادى إلى ترك شعر المديح والمناسبات، لأنه شعر يفتقد الصدق وحرارة العاطفة، وإضافة إلى ذلك أنه كان من أكبر مناصري المرأة وحقوقها، دعا لتعليمها وإعطائها فرص الحياة الحرة الكريمة وكان يسمى الجنس النسائي «الجنس العطوف» (٣).

وبناء على هذه كلها فإنه يعتبر رائد الحركة الأدبية التجديدية في المملكة، وهو في السعودية كالعقاد في مصر.

ثم صدر كتاب «وحي الصحراء» في عام ١٣٥٥هـ الموافق ١٩٢٧م، تحت إشراف الأستاذ عبد الله عمر بلخير ومحمد سعيد عبد المقصود وضم نماذج من الإنتاج الشعري والنثري لأشهر أدباء الحجاز، ثم صدر كتاب آخر في السنة نفسها، وقد نماذج الأدباء الناشئين وهو كتاب «نفثات من أقلام الشباب الحجازي» وقدم جمع مواد هذا الكتاب كل من هاشم يوسف الزواوي وعلي حسن فدعق وعبد السلام طاهر الساسي (٤).

وبعد هذه التأليفات الابتدائية القيمة ازدادت النشاطات الأدبية والثقافية في المملكة وبدأت الحركة الأدبية السعودية الناشئة تزدهر وتؤتي أكلها يوماً فيوماً حسب الإمكانيات المتوافرة، كما أنها شجعت الشعراء والكتاب الشباب على الكتابة، والطباعة، فلم يمض وقت طويل حتى قام الرعيل الأول من أدباء المملكة يحاول إثبات وجوده الأدبي بكل قوة وحماسة، وبدأ هؤلاء الشعراء والأدباء ينشرون إنتاجاتهم الشعرية والنثرية على صفحات الصحف والجرائد، ومن أهمها «أم القرى» و«صوت الحجاز» كما أن بعضهم لم يقتنع بهذه الوسيلة للنشر حتى أقبل على إصدار المجموعات والدواوين الشعرية.

ومن أوائل الدواوين الشعرية التي رأت النور «أحلام الربيع» لطاهر الزمخشري الصادر عام ١٩٤٦م، و«الهوى والشباب» لأحمد عبد الغفور عطار عام ١٩٤٦م، و«السمات الملونة» للشاعر حسن القرشي، وقد استقبل الأدباء والكتاب والصحف والمجلات هذه الإنتاجات الشعرية في داخل البلاد وخارجها بوافر التشجيع والترحيب.

وهكذا انطلق الأدب السعودي من عقال التقليد والمحاكاة وتطور

تطوراً ملحوظاً، وبرز في المملكة شعراء قادرون أعادوا إلى دولة الشعر شبابها ونضارتها، وولد فن المقالة والقصة والرواية والمسرحية وأجاد في تأليف هذه الفنون عدد كبير من الكاتبين، وجنبا لجنبهم ظهرت أديبات وشواعر سعوديات يكتبن القصة والمقالة ويقرضن القصائد والمنظومات وما إلى ذلك، ونذكرهنا أسماء بعضهن على سبيل المثال - فهن غادة الصحراء، ونداء وثريا قابل ورقية ناظر وخيرية السقاف والدكتوره فاتنة شاكر والدكتوره أمل محمد شطا .

لقد تناول الشعراء السعوديون كافة الموضوعات السياسية والاجتماعية والقضايا العربية والعالمية في شعرهم وصوروا صوراً واقعية، بما يجري في الحياة من أحداث وما يشاهدوه من آلام ومشكلات وما يسمعوه من أخبار إخوانهم المجاهدين في الدول العربية والإسلامية، وذلك لقصد المشاركة في الدفاع ونصرة المظلوم من أيدي الطغاة المستعمرين.

وهكذا وصف هؤلاء الشعراء الحروب بين الجزائر وفرنسا وحثوا العرب ليهبوا لمساعدة إخوانهم ورثوا القتلى والشهداء في جميع حروب العالم العربي كحرب فلسطين وسورية والعراق والكويت، والسودان وغيرها، ونذكر بعض أسماء الشعراء السعوديين على سبيل المثال ولا الحصر فهم أحمد إبراهيم الغزاوي، ومحمد سرور الصبان ومحمد حسن العواد، ومحمد حسن فقي وحسين عرب، وضياء الدين رجب، وأحمد العربي، ومحمد علي السنوسي، ومحمد عبد الله العثيمين وعبد الله بن خميس، وعبد الله بن إدريس، وأحمد قنديل، وحسن عبد الله القرشي، وطاهر الزمخشري، والأمير عبد الله الفيصل، وابراهيم الدامغ وغازي القصيبي، وعدد من الشاعرات التي ذكرت أسماءهنّ فيما سبق، والجدير بالذكر أن أول ديوان شعري نسائي «الأوزان الباكية» للشاعرة ثريا قابل، صدر في عام ١٩٦٣م .

ومن المعلوم أن الرواية من أقدر الفنون الأدبية على معالجة القضايا الاجتماعية المعاصرة، والتعبير عنها وتصويرها بدقة وواقعية، وترسيخ القيم والمبادئ الإسلامية ومحاربة الجهل والأمية والبدع والخرافات .

أما مساهمة الأدباء والكتاب السعوديين في مجال القصة والرواية فإنهما لا تقل عن أية دولة عربية في الكمية والكيفية، وتعتبر الرواية في الأدب السعودي المعاصر نوعاً جديداً من الأدب وبقي هذا الوافد الجديد في الأدب مهمشا لسنوات طوال، ولأن الشعر كان يطغى وجوده على سائر الفنون الأدبية ويسود صوته الإبداعي لعهود طويلة، ومنذ عصر ما قبل الإسلام حتى العقود

الثلاثة الأولى للقرن العشرين تربع الشعر على عرش أدب شبه الجزيرة العربية، ولم يشتهر العرب بموهبة الشعر القوي فحسب بل كشعب يعشق ويقدر الشعر الجميل، فبعد النهضة الأدبية وانتشار التعليم والثقافة نشأ فن الرواية في المملكة، ونال الاعتراف كنوع من الأدب الحي، ولم يكن القراء السعوديون الآن راضين عن قراءة الروايات الأجنبية المترجمة والروايات العربية المصرية التي كانت تعبر عن مشاكل الحياة المصرية التي لم تكن دائماً ذات علاقة بالمجتمع السعودي، لذا تطلع القراء السعوديون لروايات تعبر عن الواقع السعودي وتعكس همومه ومشاكله وآماله وأحلامه وتلبي تطلعاته، وفي هذا المناخ ولدت الرواية السعودية .

ومن بين الرواد الأوائل في الرواية السعودية الأستاذ عبد القدوس الأنصاري، صاحب ومؤسس مجلة "المنهل" السعودية، إنه قام بإصدار أول رواية سعودي باسم «التوأمان» عام ١٩٣٠م. وهكذا أصبح منشيء الفن الروائي في المملكة .

وبعد صمت طويل صدرت رواية «البعث» لمحمد علي المغربي عام ١٩٤٨م، وفي نفس العام أصدر الأستاذ أحمد السباعي روايته «فكرة» وبظهور رواية «ثمن التضحية» للأستاذ حامد الدمنهوري في عام ١٩٥٩م بدأت مرحلة النضج الفني في مسيرة الرواية السعودية، ويعد الأستاذ الدمنهوري رائد الرواية الفنية في المملكة، مثل محمد حسين هيكل بروايته «زينب» في مصر، واعتبرها النقاد نقطة تحول في مسيرة الرواية السعودية، وبداية حقيقية للرواية الفنية في السعودية، وصدرت للدمنهوري رواية ثانية باسم «ومرت الأيام» في عام ١٩٦٣م .

ويبدو أن الطابع المحلي ظل يشكل خصائص الرواية السعودية حيث يرتبط الكتاب السعوديون كثيراً ببيئتهم المحلية وتعكس رواياتهم الصحاري والواحات والقرى والمدائن الحديثة، وفي ثناياها يلمسون القضايا الاجتماعية المرتبطة بالعائلة والقبيلة والعادات والتقاليد .

وقد شجع النجاح الذي أحرزته الرواية السعودية لهؤلاء الرواد المزيد من الكتاب الروائيين للولوج في هذا الميدان الأدبي الجديد، ومع ازدهار الرواية السعودية وخاصة في أواخر القرن الماضي لمع جيل جديد من الروائيين نذكر هنا بعض الأسماء على سبيل المثال :

وهم حمزة بوقري، أبراهيم الناصر، فؤادعنقاوي، وعبد العزيز مشري، الدكتور عصام خوقير، عبد الله الجفري، عبده خال، أحمد

الدويحي، محمد عبده يماني، وغازي القصيبي، وإلى جانب هذه الأقلام الرجالية برزت أقلام نسائية واعدة عديدة على الساحة الروائية في المملكة العربية وعالجت الكثير من القضايا الاجتماعية التي تخص المرأة السعودية من منظور نسوي، ومن أبرز هذه الأسماء سميرة بنت الجزيرة، وهدى الرشيد، رجاء عالم، قماشة العليان، أمل شطا، سلوى دمنهوري، وليلى الجهني .

وهكذا قطعت الرواية السعودية رحلة طويلة من مراحل النشوء والنضج والازدهار، فالرواية التي دخلت المملكة العربية في أوائل الربع الثاني من القرن العشرين كجنس أدبي حديث أمست خلال عدة عقود من وجودها تنافس الشعر الذي ظل «ديوان العرب» لأزمنة طويلة، حتى زحزحته عن مملكته الجميلة ومنزلته الممتازة القديمة التي كان يتبوؤها على مدى أكثر من عشرين قرناً، وأصبحت «ديوان العرب الحديث» (٥).

بدأ الاهتمام بفن المسرح والوعي بأهميته ودوره الفعال في المجتمع متأخراً في المملكة العربية السعودية، إذا ما قورنت المملكة بغيرها من البلاد العربية، قد اهتمت بعض المجلات مثل مجلة «قريش» بالمسرح وأخذت تنشر كثيراً من المقالات حول المسرح وأهميته وحول فنية العمل المسرحي ومقوماته .

وهكذا مهدت هذه المقالات الطريق لنشأة فن المسرحية وتطوره، فأول المسرحيات السعودية، وأقدمها صدرت خارج المملكة، بل وبعضها كتب خارجها أيضاً، مثلا حسين عبد الله سراج وهو من الرواد في كتابة المسرحية السعودية، وأصدر مسرحيته «الظالم نفسه» في الأردن عام ١٩٣٢م .

ثم أصدر مسرحيته الثانية بعدها بعشر سنوات باسم «جميل بثينة» في الأردن كذلك عام ١٩٤٢هـ وبعد ذلك ازداد النتاج المسرحي المطبوع، وتطور فن المسرح تطوراً ملحوظاً، فبعد صدور مسرحيته «جميل بثينة» ظهرت مسرحيته «الهجرة» لأحمد عبد الغفور عطار عام ١٩٤٦م، ثم صدرت المسرحية الشعرية «غرام ولادة» لحسين عبد الله سراج عام ١٩٥٢م، وبعدها نشر عبد الله الجبار مسرحيته «العم سحتوت» عام ١٣٧٤هـ، تليها مسرحيته الثانية «الشياطين الخرس» ، وفي عام ١٩٦٣م كتب إبراهيم الناصر مسرحيته «متهم» ثم أصدر عصام خوقير مسرحيته «في الليل لما خلى» عام ١٩٧٠م، وبعدها نشر محمد الخطراوي مسرحيته «المقامة الدينارية» عام ١٩٧٦م، وعلى هذا النحو استمر صدور المسرحيات في السعودية .

ولا شك في أن النتاج المسرحي بدأ متأخراً وبطيئاً في المملكة، ولكنه في الربع الأخير من القرن الماضي ازداد نشاطه والاهتمام به أكثر

من ذي قبل (٦) .

إن الصحافة في المملكة ازدهرت ازدهاراً واسعاً بعد الاستقرار السياسي في الجزيرة، ومن المعلوم أن الصحافة أداة خير ورشاد، إن هي التزمت الأمانة والإخلاص والصدق والفضيلة، وأداة شر وفساد إن هي انحرفت عن الأمانة والصدق والنزاهة. فهذه هي الأسس الرئيسة التي يجب أن تتوفر في الصحافة، ان السمات البارزة التي تتميز بها الصحافة السعودية هي - بدون شك - الصدق والنزاهة والأمانة والالتزام بالقيم الخلقية والمبادئ الشريفة والاتجاه القوي إلى فكرة الوحدة العربية والتضامن الإسلامي والدعوة إلى الفكر الإسلامي الصحيح، وإلى جانب ذلك إنها تكرس جل عنايتها للموضوعات الأدبية الثقافية والتربوية، ومن أهم الصحف والجرائد السعودية :

«أم القرى»، وهي صحيفة قديمة صدرت عام ١٣٤٣هـ وهي الآن رسمية تصدرها وزارة الثقافة والإعلام، و«البلاد» التي تأسست عام ١٣٥١هـ، وكانت تسمى «صوت الحجاز» و«المدينة المنورة» التي صدرت عام ١٣٥٥هـ، واشتهرت بملحق الأربعاء الأدبي والثقافي و«عكاظ» و«الندوة» و«الرياض» التي تصدر منذ عام ١٣٨٤هـ، بالرياض لها ملحق أدبي يصدر يوم الخميس ويستقطب عدداً من المثقفين .

و«الجزيرة» إنها تصدر في الرياض ولها ملحق أدبي ثقافي، و«الجزيرة المسائية» التي أسست عام ١٤٠٢هـ، وتصدر ملحقها الأدبي يوم الثلاثاء، و«اليوم» وهي تصدر في مدينة، الدمام، و«الشرق الأوسط» هي جريدة عالمية تصدر في عدد من العواصم العربية والعالمية وهي ذائعة الانتشار .

ومن المجلات السعودية البارزة مجلة «المنهل» أول مجلة سعودية، أنشأها الأستاذ عبد القدوس الأنصاري، وما زالت تصدر شهرياً بانتظام، «المجلة العربية» وقد صدرت عام ١٣٩٢هـ، ومجلة «العرب» وهي مختصة بالبحوث والدراسات في الجزيرة، أسسها الأستاذ المرحوم حمد الجاسر عام ١٣٦٨هـ، و«اليمامة» وهي مجلة ثقافية أدبية، و«الدعوة» مجلة إسلامية تصدر في الرياض، و«اقرأ» صدرت في جدة عام ١٣٩٣هـ، ومجلة «الفيصل» وهي من كبريات المجلات الأدبية والثقافية في العالم العربي، وتصدر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض منذ عام ١٣٩٦هـ، ومجلة «عالم الكتب» التي تصدر منذ عام ١٤٠٠هـ، ومجلة «الحرس الوطني» التي أسست عام ١٣٩٠هـ، ومجلة «التوباد» التي تصدر عن الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون منذ عام ١٤٠٧هـ، ومجلة «الدارة»، وهي من أهم المجلات السعودية

تصدر عن دارة الملك عبد العزيز بالرياض منذ عام ١٣٩٥هـ .

وعلاوة على ذلك هناك مجلات مختصة تصدر عن النوادي والمؤسسات التعليمية. فلكل جامعة مجلة تسمى باسمها .

وقد أدت هذه الصحف والمجلات دوراً مهماً في تطوير الأدب السعودي ودفع مسيرته إلى الأمام وإثاره الاهتمام به من القراء والنقاد والمتخصصين بالأدب، كما انتشرت دور النشر والمطابع في مختلف أنحاء البلاد وبلغ عددها في نهاية القرن العشرين إلى خمسة آلاف، قد شجعت الحكومة السعودية الكتاب ودور النشر والمطابع بقرار إلزام الجهات الرسمية بشراء ثلاثين في المائة من إنتاج المؤلف السعودي (٧) .

فهذه نظرة خاطفة على مسيرة الأدب في المملكة العربية السعودية، فالفنون الأدبية الحديثة التي بدأت متأخرة في السعودية تطورت تطوراً ملموساً بعد المرور بمراحل النشأة والنضج والازدهار، وحقق الأدباء السعوديون - رجالاً ونساءً - في إنتاجاتهم الشعرية والنثرية قدراً كبيراً من الإبداع الفني والأصالة الفكرية .

وهكذا فإنهم يساهمون في الأدب العربي الحديث بآثارهم الأدبية القيمة التي تتسم بطابعهم وتعبر عن شخصيتهم .

المصادر والمراجع :

١) أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة، للأستاذ محمد علي المغربي ص: ٢٢٦.

٢) خواطر مصرحة، للأستاذ محمد حسن العواد، ص: ٤.

٣) الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي، للدكتور عمر الطيب الساسي، مكتبة دار جدة، بيروت، عام ٢٠٠٢، ص:١٠١.

٤) دور المملكة العربية السعودية في تطوير الأدب العربي السعودي للدكتور أنور حفيظ الندوي، مركز سعود البابطين، الرياض .

٥) النزعة الاجتماعية في الرواية السعودية، للدكتور حفظ الرحمن الإصلاحي، جداول للنشر والتوزيع، بيروت عام ٢٠١١م ، ص: ٩٦.

٦) مسرحية التراث في الأدب السعودي، للأستاذة فاطمة عبد الله الوهيبي، الطبعة الأولى، عام ١٤١٥هـ، ص: ٩. ١٢.

٧) لمزيد من التفصيل يرجع إلى: الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية للدكتور بكري شيخ أمين، والفكر والشكل في الشعر السعودي المعاصر للأستاذ الدكتور مسعد بن عيد العطوي، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م .

☆ ☆

لغتنا العربية: لغة المستقبل

بقلم: الدكتور أن. عبد الجبار
الأستاذ المشارك، قسم اللغة العربية للماجستير والبحوث كلية الفاروق، كاليكوت، (كيرالا. الهند)

إن اللغة العربية ظاهرة اجتماعية، بالغة الأهمية كما تقوم به من دور فعال في الاتصال والتفاهم بين البشر، وهي نعمة عظيمة منحها الله سبحانه وتعالى، للإنسان وميزه بها عن سائر المخلوقات .

لغتنا العربية هي إحدى لغات البشر، صنفها علماء اللغة ضمن أسرة اللغات السامية، وإن فضلها ليس في ذاتها على اعتبارها لغة مثل سائر اللغات، تتكون من أنظمة صوتية وصرفية ونحوية ودلالية، إن اللغة العربية باقية لا تموت ما بقي فيها كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما بقي أهلهما متمسكين بهما و دافعين عنهما، واللغات الأخرى لا تملك هذه القدرة والميزة العليا، أكثرها تسقط وتفشل بسقوط أهلها وتمتزج مع غيرها ثم تفنى، ولكن الشعوب الذين ينطقون باللغة العربية أحرص الناس على حياة لغتهم، تأبى هذه الشعوب هجر اللغة العربية وتحويل ألسنتها إلى لغة أخرى لأنها لغة القرآن الذي هو معجزة من عند الله .

واللغة العربية أفصح الكلام وأحكم الأساليب وأغزر مادة، كتب جول فرن (١٨٢٨- ١٩٠٥) مؤلف فرنسي مشهور بروايته "الرحلة العلمية في قلب الكرة الأرضية" مما فيها وصف الكثير من الاختراعات الحديثة قبل ظهورها، هذه قصة خيالية بناها على أصل سياح يخترقون طبقات الكرة الأرضية حتى يصلوا أو يدنوا من وسطها، ولما أرادوا العودة إلى ظاهر الأرض بدا لهم أن يتركوا هناك أثراً يدل على مبلغ رحلتهم، فنقشوا على الصخر كتابة باللغة العربية، ولما سئل جول فرن عن وجه اختياره اللغة العربية، قال: "إنها لغة المستقبل، ولا شك أن غيرها من اللغات تموت، وهي تبقى حية حتى يرفع القرآن نفسه".

ولقد ساعدت عوامل كثيرة في نضج اللغة العربية وقدرتها على التعبير عن جميع متطلبات المجتمع أيا كانت؛ ومن هذه العوامل نزول القرآن بها الذي أضفى عليها جمالاً و رونقا، وذلك من حيث إيجاد كلمات جديدة ومعان محددة؛ ومنها دخول الناس في الإسلام أفواجا من خلفيات ثقافية متباينة: وحضارات مشرقة الجوانب؛ واتخاذ هؤلاء الناس العربية لساناً لهم؛ حيث اتسعت به مادة اللغة بما اقتبسته من الألفاظ الأجنبية للتعبير عما لم يعرفه

البدو من تدوين الدواوين وتنظيم الحكومة وسياسة الملك ومقتضيات الحضارة من أداة وطعام وزينة؛ ولا غرو أن تلعب العربية الدور الريادي في العلوم والذي أشاد به المؤرخ الكبير "فيليب هتى" إذ قال:"فيما بين القرن التاسع والقرن الثاني عشر الميلادي" فإن كثيراً من المؤلفات الفلسفية والطبية والتاريخية والفلكية والدينية والجغرافية كانت مكتوبة باللغة العربية، ولا تزال لغات غرب أوربا تحمل ألفاظاً عربية مقترضة".

والأسقف جونس يعترف في كتابه "تاريخ اليورِبا" أن اليوربا قبل وصول الإنجليز سجلوا أفكارهم بالحروف العربية، ونظراً إلى تلك المساهمات التي أسهمت بها العربية في تاريخ الإنسانية وباعتبار أن العربية قد أصبحت إحدى اللغات الدولية، وإن هناك جهوداً جبارة لجعل العربية موفية بالتعبير العلمي في كل المجالات الحيوية، وخاصة في العلوم والتكنولوجيا، ليس المسلمون فقط استخدموا العربية للتعليم بل استخدمها العرب المسيحيون ولا يزالون.

فوق كل شيء فضل اللغة العربية أن القرآن أنزل بها، ولم تبلغ أية لغة هذه الذروة من المجد على أنها قوية وكافية، تمر إلى عقول الناس كما يمر السهم، وتضيئ كما يضيء الفجر، وتزخر كما يزخر البحر، وهي كالروح في الجسم، والنور المسيطر في الأفق والغيث الشامل والضياء الباهر، والقرآن معجزة أدبية أخرست المتحدين على كر العصور، يجتمع فيه جمال الأسلوب وكمال المعنى وباجتماعهما يتم للكلام نصيبه من التأثير، فالمعني الجيد وحده والأسلوب المنمق وحده بلا معنى لا يؤدي إلى الغرض المطلوب، يقول الدكتور محمد البيومي :

"الأسلوب الغني يتكون من الصورة والفكرة كما يتكون الماء من الهيدروجن والأكسوجين، وكما استحال في فن الطبيعة أن يتكون الماء من أحد عنصرين، فقد استحال في فن الإنسان أن يتكون الأسلوب من أحد جزئيه".

وتأخذ الكلمة العربية أهميتها بين مختلف اللغات بما تميزت به من خصائص: الدقة، والوضوح، والإيجاز، والنفاذ إلى أعماق الإنسان، يقول عباس محمود العقاد(١٨٨٩- ١٩٦٤م) شاعر مجدد وناقد وصحافي مصري :

"اشتملت اللغة العربية على وسائل للتمييز بين الأوقات، فكل لحظة من لحظات الليل والنهار قد كان لها شأنها من حياة السكان في البادية؛ بين السفر والإقامة، والحل والترحال، فمنها ما صالح لبدء السير، ومنها ما صالح للراحة القصيرة، ومنها ما هو صالح للراحة الطويلة، ومنها ما ليس يصلح لغير السكينة والاستقرار، ولهذا وجدت كلمات البكرة والضحى، والغدو

والظهيرة، والقائلة، والعصر، والأصيل، والمغرب، والعشاء، والهزيع الأول من الليل؛ ويكاد التقسيم على هذا النحو أن ينحصر للساعات على صعوبة التفرقة بين هذه الأوقات في كثير من اللغات الأخرى بغير الجمل والتراكيب".

ويكفي للغة العربية شرفاً أنها الطريق إلى فهم أسرار القرآن الكريم وإذن فمدارستها والتعمق فيها من واجبات كل مسلم، قال أبو منصور الثعالبي: (٩٦١-١٠٣٨) في كتابه المشهور"فقه اللغة: "ومن أحب الله تعالى أحب رسوله محمداً صلى لله عليه وسلم، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية، ومن أحب العربية عنى بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها .

ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان، وآتاه حسن السيرة فيه اعتقد أن محمد صلى الله عليه وسلم خير الرسل والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة؛ والإقبال على تفهمها من الديانة إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد.

ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها والوقوف على مجاريها ومصارفها وتبحر في جلائلها ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن وزيادة البصيرة في إثبات النبوة التي هي عمدة الإيمان.... لكفى بها فضلا يحسن فيهما أثره ويطيب في الدارين ثمره".

هذه شهادات صادرة ممن يعتقدون أن اللغة العربية فضلاً من جهة أنها اللسان الذي نزل به القرآن الكريم، وهناك شهادات ممن لا يؤمنون بالقرآن وإنما ينظرون إلى اللغة العربية من ناحية حسن البيان.

قال المستشرق أرنست رينان (١٨٢٢- ١٨٩٢) مؤرخ وفيلسوف فرنسي في كتابه"تاريخ اللغات السامية:

"من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوية، وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري عند أمة من الرحل. تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها، وكانت هذه اللغة مجهولة عند الأمم، ومن يوم علملت ظهرت لنا في حلل الكمال إلى درجة أنها لم تتغير أي تغيير يذكر، حتى إنها لم يعرف لها في كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة، لا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تبارى، ولا نعلم شبيهاً لهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرج، وبقيت حافظة لكيانها من كل شائبة".

وهي لغة حية نامية نطقاً وكتابة وحواراً وكلاماً؛ وكذلك هي أقدم زمنا وأعرق محتداً؛ وهي لغة السعة والمرونة أيضا حيث يقول الإمام الشافعي

رحمه الله: "لسان العربية أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظاً".

واللغة العربية لغة قادرة على التكيف مع جميع الظروف، وقادرة على أن تستعمل كلغة للاتصال بين الشعوب المختلفة اللسان.

إن أساليب اللغة العربية أقرب إلى النظم الطبيعية من اللسان الألماني، فإن في اللسان الألماني ضروباً من التصرف يفقد بها الكلام ترتيبه الطبيعي وليس في هذه الضروب في العربية الفصحى من شبيه، ففي اللغة الألمانية أفعال مركبة من قطعتين، يضع المتكلم إحدى القطعتين في أول الجملة ويضع الأخرى عند انتهائها، فالسامع لا يعرف معنى الفعل عندما يسمع القطعة الأولى في صدر الجملة، ويبقى معه لفظ لا يدري ما معناه حتى يصل إلى القطعة الملقاة في آخر الكلام. والمتكلم باللسان الألماني يأتي في صدر الجملة بعلامة استقبال الفعل أو مضيه؛ أما الفعل نفسه فهو آخر ما تسمعه من الجملة، يعني أنه يأتي بعد المفاعيل والظروف ونحوها.

ولكن تعرضت لغتنا العربية إلى حروب من أعداء الثقافة العربية، مستخدمين في ذلك أسلحة شتى مثل الازدواجية اللغوية، وقضية العامية، مستهدفين محو الهوية العربية، ولقد ظهرت هذه الدعوة مع بداية عصر الاحتلال الغربي للوطن العربي بعدما عمل المستعمر بقوة على منع انتشار اللغة العربية في ربوع العالم الإسلامي، ثم أمر المثقفين العرب بكتابة بحوثهم باللغة الدارجة التي تدب فيها الحياة - على حد زعمهم - لا باللغة العربية الفصحى الميتة التي لا يعرفها إلا المتخصصون بدراستها.

ولكن مثل هذه الدعاوي قد لاقت رفضاً ومقاومة من المثقفين العرب، مما أيأس هؤلاء الأعداء من تكرار محاولاتهم، ولكن من المؤسف حقاً أن برز بعد ذلك من العرب أنفسهم من يقوم بأداء هذا الدور؛ وينذر حياته لمحاربة اللغة الفصحى والثقافة العربية حتى كثرت حملات التشكيك في العربية وثقافتها، والتي استخدمت فيها العبارات البراقة الخادعة من "إصلاح" و"تطوير" و"تحديث" و"تنوير" ومما يؤلم قلب الغيور على لغته أن هذه المؤامرات على لغتنا ما زالت مستمرة، ونجد صدى كبيراً في بعض البلاد العربية، مع التنوع في طرقها ووسائلها مستمدة أصولها من الغزو الفكري والتغريب الثقافي للأمة العربية بهدف القضاء على هويتها العربية.

ولكن اللغة العربية التي مضى على تاريخها المعلوم حتى الآن آلاف السنين، ما زالت حية على الألسن، متطورة في مختلف مجالات التخصصات الحديثة، قادرة على الأخذ والعطاء من خلال الترجمة منها وإليها، وقد كان اعترافاً بتاريخها من ناحية وبقيمة المتحدثين بها حالياً من ناحية أخرى، أن

أصبحت إحدى اللغات الرسمية المعترف بها في الأمم المتحدة، وسائر المنظمات الدولية المنبثقة عنها. لقد ظلت العربية الفصحى أكثر من أربعة عشر قرناً، ولا تزال لغة تجاري التقدم العلمي والأدبي والثقافي باعتبارها لغة الدين والتراث وأداة الخطابة والعبادة في القضاء والأدبيات، نثراً وشعراً، كما أنها لغة الإعلام، مسموعاً ومرئياً، وهذا يعتبر معجزة في عالم اللغات.

فخير لنا أن نعطيها حظها من العناية والدراسة ونضعها في مكانها الطبيعي في تاريخ الأدب، وطبقات الأدباء، وأن ننقب في المكتبة العربية من جديد، ونعرض على ناشئتنا، وعلى الجيل الجديد نماذج جديدة من الكتب القديمة للأدب، حتى يتذوق جمال هذه اللغة وينشأ على الإبانة، والتعبير البليغ ويتعرف على هذه المكتبة الواسعة ويستطيع أن يفيد منها.

ولكن هناك كلمات أجنبية في اللغة العربية تتعلق بالمخترعات أو المصطلحات العلمية والفنية، فقد رأى مجمع اللغة العربية عدم جواز استعمالها إلا عند الضرورة. لأن اللغة العربية يمكن أن تختص ألفاظاً من مفرداتها للدلالة على مستحدثات العلوم والفنون، حيث إن في بطون معجماتها مئاف الألوف من الكلمات المهجورة والمستعملة مما يصلح أن يوضع لهذه المسميات الحديثة، يشير الشاعر حافظ إبراهيم إلى هذه الحقيقة حينما قال بلسان لغتنا:

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية ... وما ضقت عن آي به وعظات
وكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن ... فهل سألوا الغواص عن صدفاتي
فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني ... ومنكم وإن عز الدواء أساتي
فلا تكلوني للزمان فإنني ... أخاف عليكم أن تحين وفاتي

ومازال كل عدو للعرب ينفث السموم، ويبذر الشقاق ويشيع الفتن ليفت من عضد الأمة العربية، ويبعث الوهن في شعوبها، ويبذل الجهود الجبارة المتواصلة لتنفير أبناء شعوبها من لغتهم الحية، وإيهامهم بأنها ليست من اللغات العالمية الخالدة، لتصبح لقمة سائغة، مما يجعلنا نفتح عيوننا جيداً عندما نسير على دروب من سبقنا من اللغويين، حتى إذا وجدنا عقبة أزلناها لتصبح طرقنا اللغوية معبدة قدر الإمكان، ليأتي الجيل القادم بعدنا، ويواصل السير قدماً على نفس الطريق كي نصل يوماً إلى نهاية الشوط الذي لا بد لنا من الوصول إليه، طال الطريق أم قصر.

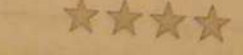

حول الأدب ورجاله :

الدكتور محي الدين الألوائي ومساهماته في الأدب العربي

بقلم: الدكتور جمال الدين الفاروقي

كانت سواحل كيرالا بمثابة بوابة مفتوحة لدى الرحالين والتجار العرب منذ القدم، وذلك بفضل وقوعها على سواحل البحر الغربي، وساعد هذا التميز الجغرافي على نشر اللغة العربية في ربوعها منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى مرور الزمن شهدت الولاية تطوراً ملحوظاً في مجال دراسة اللغة العربية وتدريسها والتأليف فيها، وخصوصاً في النصف الثاني من القرن العشرين حيث قوي التبادل الثقافي بالبلاد العربية، والدكتور محي الدين الألوائي يمثل هذه الفترة .

وهو المولود عام ١٩٢٥م بمدينة «ألوائي» في ولاية كيرالا ، بعد تلقى العلوم الابتدائية التحق بدار العلوم، وازكاد في أوائل الأربعينيات، وكانت دار االعلوم الكلية العربية الأولى، أسسها الحاج أحمد الشاللكتي رائد الإصلاح التعليمي بكيرالا في القرن التاسع عشر الميلادي .

وبعد مدة قضى فيها التحق الألوائي بمدرسة الباقيات الصالحات بويلور في تامل نادو حيث نال شهادة المولوي الفاضل . وأعد نفسه وقت الإقامة فيها لاختبار شهادة أفضل العلماء من جامعة مدراس، وحصل عليها سنة ١٩٤٩م . ثم انخرط في سلك التدريس بكلية روضة العلوم العربية بفاروق، التي أسسها الشيخ أبو الصباح أحمد علي أحد رواد التعليم والتربية في ديار كيرالا ، وروضة العلوم في خدماتها ومواقفها التعليمية قبس من نور الأزهر الذي تخرج فيه صاحبها، وكان الشيخ أبو الصباح يذكر بعض تجاربه وذكرياته الجميلة حين كان في رحاب الأزهر، مما زاد شوق الألوائي للدراسة فيها. وهو بنفسه يقول عن هذه المناسبات : «وثقت صلاتي بروضة العلوم التي أسسها الشيخ أبو الصباح أحمد على، وعينت مدرساً فيها بدعوة منه عقب تخرجي من الباقيات الصالحات، وحصولي على شهادة أفضل العلماء الجامعية» . وكان في مقدمة العلماء والأصدقاء الذين شجعوني على الرحلة إلى مصر للالتحاق بجامعة الأزهر» (١) .

وفي عام١٩٥٠م توجه الدكتور محي الدين الألوائي إلى القاهرة ليدرس في جامعة الأزهر، فالتحق بقسم التخصص في كلية أصول الدين، ونال في عام ١٩٥٢م شهادة العالمية بتفوق، وكان الأول من الطلبة الأجانب تسجيلاً لأكبر، رقم قياسي في تاريخ الأزهر، وفي أثناء إقامته بمصر مارس نشاطه العلمي والأدبي، حيث كانت الصحف والمجلات تنشر له مقالات كثيرة في شتى

١ - المجلة التذكارية لليوبيل الذهبي لكلية روضة العلوم العربية .

الموضوعات، كما ألف في هذه الفترة بعض الكتب باللغة العربية. وكان يتولى حينذاك منصب رئيس التحرير لمجلة «البعوث»، وهي لسان حال البعثات العلمية في القاهرة، وتسنى له الاتصال مع الشخصيات البارزة في مجال الصحافة والتعليم، كما أدرك المستجدات في الشؤون التربوية والثقافية في بلدان غرب إفريقية، وحالفه الحظ في أن يحرز منحة دراسية من مجلس الهند للروابط الثقافية .

وفي عام ١٩٥٥م قفل عائداً إلى الهند، وعين مذيعاً في القسم العربي بهيئة الإذاعة الهندية في دهلي، وقام بإسهامات فعالة بهدف تعريف الثقافة الهندية للأوساط العربية. وكان يواصل في نفس الوقت النشاط العلمي والأدبي في مجلس الهند للرواية الثقافية، وأكاديميات الآداب الهندية، ووضع مؤلفات في اللغات الهندية والعربية، وترجم بعض الكتب العربية إلى اللغات الهندية، ومنها إلى العربية، مثل ترجمة كتاب الهند للبيروني إلى لغة مليالم وترجمة رواية شامين الملايالمية لصاحبها تاكازي إلى العربية. وإقامته في دلهي لفترة طويلة أتاحت له الفرص لتوثيق الصلات بالأدباء والكتاب الهنود من مختلف ولايات الهند .

وفي عام ١٩٦٣م عاد الدكتور محي الدين الألوائي إلى القاهرة مع عائلته لاستكمال دراساته العليا. وقد أعرب عن أمنيته هذه لرئيس جمهورية الهند الدكتور رادها كرشنا، فوافقت الحكومة على تحمل نفقات سفره إلى القاهرة، تقديراً لخدماته العلمية ونشاطه الأدبي، ثم التحق الألوائي بالدراسات العليا بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، ونجح في امتحان التخصص عام ١٩٦٥م بتقدير ممتاز.

وفي العالم نفسه انتدب الدكتور محي الدين الألوائي مدرساً في كلية الطب بجامعة الأزهر لتدريس مواد الدراسات الإسلامية باللغة الإنكليزية. ثم قام بتدرس المادة نفسها في كلية البنات الإسلامية، ووضع الدكتور في أثناء ذلك كتاباً في اللغة الإنكليزية، وتم إدراجه في مقررات الدراسات الإسلامية ولما تولى الشيخ أحمد حسن الباقوري منصب رئيس جامعة الأزهر، عين الدكتور محي الدين الألوائي عضواً في مكتبه بالجامعة .

وفي عام ١٩٦٧م انتدب عضواً في لجنة الامتحانات لاختيار مبعوثي الأزهر إلى غرب آسيا، كما خدم في مجلة "الأزهر" مشرفاً على القسم الإنجليزي فيها. وبالإضافة إلى هذا كان يكتب باستمرار المقالات العربية لعدد من المجلات، منها مجلة «الأزهر» و«منبر الإسلام» ومجلة «الرسالة» ومجلة «صوت الشرق» ومجلة «منار الإسلام» التابعة لوزارة الأوقاف في دولة الإمارات العربية المتحدة، ومجلة «الشبان المسلمون» ومجلة «الدعوة»، ومجلة «نور الإسلام» وغيرها .

وفي عام ١٩٧٠م عين رئيساً لهيئة تحرير مجلة «صوت الهند» الصادرة عن سفارة الهند بالقاهرة، وفي أثناء هذه النشاطات الثقافية سجل الشيخ

محي الدين في قسم أصول الدين بجامعة الأزهر لإعداد بحث لنيل شهادة الدكتوراه عن الدعوة الإسلامية وتطوراتها في شبه القارة الهندية. ونال ذلك عام ١٩٧١م مع مرتبة الشرف من قسم الدعوة بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر .

وفي عام ١٩٧٧م غادر الدكتور الألوائي مصر إلى المملكة العربية السعودية والتحق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، أستاذاً للدراسات الإسلامية واللغة العربية. واستمر في هذا المنصب إلى عام ١٩٨٤م مواصلا جهوده العلمية والثقافية هناك. وبدأ يكتب المقالات بصورة منتظمة في جريدة «المدينة» ومجلة «الجامعة الإسلامية». وبعد خدمات جليلة دامت نحو ثلاثة عقود، مدرساً وباحثاً وكاتباً ومؤلفاً ومحرراً في مختلف المجلات والدوريات أحيل إلى المعاش من الجامعة الإسلامية بالمدينة عام ١٩٨٤م .

وحتى بعد تقاعده عن العمل لم يعش منزوياً عن النشاطات الثقافية والأدبية. بل ظل يواصلها بصورة أكثر حيوية مما كان من قبل. وتقلد منصب رئيس مستشاري الشؤون الدينية بجريدة «خليج اليوم» الصادرة عن دار الوطن للطباعة والنشر في دولة قطر، واستمر في عمله هذا حتى عام ١٩٨٩م. ثم عاد إلى مسقط رأسه ليقضي هناك بقية عمره في خدمة الأمة والثقافة الإسلامية. والتحق بكلية الدعوة وأصول الدين بمدينة كالكوت عميداً لها، وبينما كان في عمله فيها، قام بتأسيس كلية «أزهر العلوم» في مدينة ألوائي مسقط رأسه، وبذل في سبيله نفسه ونفيسه .

ومما يدل على عنايته باللغة العربية في ديار كيرالا أنه قام بتخصيص جائزة باسمه تشجيعاً لدراسة العربية منذ عام ١٩٨٥م، وتوزع هذه الجائزة على المتفوقين في امتحان الماجستير في الأدب العربي والدراسات الإسلامية من خريجي جامعة روضة العلوم بفاروق، حيث قضى حقبة من الزمن مدرساً فيها، وذلك وفاء للصنيع الجميل الذي قام به الشيخ أبو الصباح أحمد علي مؤسس تلك الجامعة. وأسدل الستار على حياته الحافلة في شهر يوليو عام ١٩٩٦م، بالغاً من العمر واحداً وسبعين عاماً. وقد رثاه زميله الشيخ محي الدين المولوي بقوله:

فارقتنا وأجبت ربك قبلنا ... وتركتنا في الهند كالأيتام
ألواذ كنت صديقنا وزعيمنا ... مستمسكاً بالعلم والإعلام
كنا كنداماذ جذيمة حقبة ... فاليوم كنت لد من أحلام
أرجو من الرحمن يجمع بيننا ... في جنة المأوى ودار سلام
ظهر الفساد وعم بعدك يا أخ ... ببلادنا وأنفك كل نظام
ربي إليك مصيرنا ومعادنا ... يا ذا العُلى والعز والإكرام

مؤلفاته :

وهذا العبقري الذي أنجبته ولاية كيرالا والذي يعد أشهر أبنائها بعد

الشيخ زين الدين المخدوم ظل شبه مجهول في الأوساط الإسلامية في الهند. وقد خلف الدكتور الألوائي ذخراً ثميناً للمكتبة العربية والإسلامية، وهو أكثر علماء كيرالا إنتاجاً في العربية، ومن مؤلفاته :

«الدعوة الإسلامية وتطوراتها في شبه القارة الهندية» و«منهاج الدعوة» و«أعلام الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية» و«تحقيقه حول أول بقعة أشرقت بنور الإسلام في الهند» و«الإسلام وتطورات العالم» و«والإسلام وقضايا الإنسانية» و«النبوة المحمدية ونقديات المستشرقين» و«الثقافة العربية في شبه القارة الهندية» و«والمؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين» و«مكانة فلسطين في العالم الإسلامي» و«كيف انتشر الإسلام في الهند» و«وحاضر الإسلام والمسلمين» و«شامين» (ترجمة عربية لرواية مليالمية) و«خصائص الدعوة الإسلامية» و«عناصر الخلود في الدعوة الإسلامية» و«منهاج المعلمين لتعليم العربية» .

ويشكل كتابه «الدعوة الإسلامية وتطوراتها في شبه القارة الهندية» بالغ الأهمية ككتاب مرجعي للعلاقات الهندية والعربية، ويبحث فيه تاريخ دخول الإسلام إلى الهند وانتشار الدعوة الإسلامية، وعوامل انتشارها وتطور العلوم والثقافة الإسلامية واللغة العربية في ربوعها، والكتاب في أربعة أبواب: وفي الباب الأول تناول علاقة العرب بالهند قبل الإسلام، والجاليات العربية التي استقرت في الهند، كما أشار إلى الجاليات الهندية التي استوطنت في مختلف أنحاء الجزيرة العربية وأورد الدلائل على هذه العلاقات كما يبين في هذا الباب العلاقات التجارية القائمة بين الطرفين .

وفي الباب الثاني يبحث بدء الدعوة الإسلامية في جزيرة العرب و وصولها إلى الهند. وفيه أربعة فصول.، يبحث فيها حال البلاد العربية أيام البعثة النبوية، وتقاليد العرب وعاداتهم ولغاتهم وقت البعثة، وأحوالهم السياسية والاجتماعية والدينية.

أما الباب الثالث فيتناول انتشار الدعوة في جزيرة العرب، وفيه أربعة فصول حيث يتحدث عن بشارة الرسول صلى الله عليه وسلم بفتح الهند، وقصة إسلام ملك مليبار وسفره إلى جزيرة العرب، والأسرة المالكة المسلمة في الهند، كما قام بتحقيق أول بقعة أشرقت بنور الإسلام في شبه القارة الهندية .

كما يتناول الباب الثالث، وفيه أربعة فصول، تطور الدعوة الإسلامية في الهند، مع الإشارة إلى أبرز الدعاة الأوائل والأديان الموجودة فيها وقتئذ .

والباب الرابع الذي فيه ثلاثة فصول، يبحث عن إسهام الهند في نهضة العلوم الإسلامية بما فيها علوم القرآن والحديث وعلم الكلام والتصوف والعلوم اللغوية والأدبية والتاريخ والعلوم العقلية. وفي خاتمة الكتاب إشارات

إلى مستقبل الدعوة في الهند، والكتاب إن لم يكن بدعاً في الموضوع، إلا أنه يتضمن معلومات تاريخية جمعها صاحبه من مصادرها الأصيلة .

وكتابه «الأدب الهندي المعاصر» لم يكن أقل شأناً من السابق علماً بأنه أول كتاب في العربية يتناول الأدب الهندي المعاصر بالبحث والتحليل. وفيه بحث مستفيض عن أربع عشرة لغة من اللغات الهندية. وهي السنسكرتية والهندية، والأردية، والتاملية، والبنغالية، والكجراتية، والمراتية، والبنجابية، وتلونغو وكانادي، وملايالم، والآسامية، والأورية، والكشميرية، وهي من أسرة اللغات الحية التي لها كيان خاص وغنية بالذخائر العلمية والأدبية، ولها آدابها وقواعدها وأساليبها وتاريخها، وبذلك صارت تمثل الحياة الثقافية الهندية.

ويقول الأستاذ في مقدمته: «ولست أبالغ إذا قلت: إنه من دواعي الأسف والدهشة معا أن المكتبة العربية لم تحظ بكتاب جامع يتناول لغات الهند وتاريخها وتطوراتها وآدابها على منهج علمي منظم، إلا بعض القصص المترجمة من هنا وهناك، ومقالات تنشر بين الحين والحين، وهي تمر مر الكرام بذكر عام عن بعض نواحي آداب الهند وفنونها وبعض رجالاتها المعروفين» .

فنظراً للحاجة الملحة لوضع كتاب في اللغة العربية يتناول لغات الهند وتاريخها وتطوراتها وآدابها وتذليلاً لطرق البحث والدراسة أمام الباحثين في اللغات والآداب والفنون الهامة، عقدت عزمي على أن أضع مؤلفاً يتناول اللغات الأربعة عشرة التي مضى عليها الدستور الهندي على أن تكون لغات وطنية ورسمية في الجمهورية الهندية . ولم يكن هذا العمل سهل المنال لسعة شقة الإختلاف بين لغة وأخرى في نشأتها وعناصرها وعوامل تطورها فضلاً عن أن كلاً منهما يعتبر ذاته موضوعاً يستحق كتاباً مستقلاً، ومما زاد الطين بلة تناثر المصادر والمراجع في لغات عديدة، وفوق هذا وذاك رغبتي الملحة في أن يكون هذا الجهد المتواضع إضافة جديدة إلى المكتبة العربية ومقبولة لدى رجال العلم والأدب .

وهو في هذا الكتاب يتناول الأدب السنسكريتي أولاً ويذكر أن اللغة السنسكرتية لها تاريخ قديم يرجع إلى ما قبل أربعة آلاف سنة ، ويتحدث عن المؤلفات المشهورة الأدبية والعلمية فيها، ثم يتناول بدراسة اللغة الهندية وهي اللغة الرسمية للهند. ويذكر تاريخها وتطوراتها وآدابها وأهم مؤلفاتها ويتحدث عن رواد الأدب الهندي كما يتحدث عن الأردية ويذكر أنها مزيج من اللغات الأربع: السنسكرتية والفارسية، والعربية، والتركية، واللغات التاملية، والكشميرية أيضاً، لغات ذات جذور تاريخية وثقافية عميقة وحافلة بتراث أدبي عتيد من النثر والشعر والرواية والمسرحيات ، ويتحدث بعد ذلك عن الرقص الهندي، واهتمام الحكومة الهندية بالآداب والفنون، الشعبية القديمة لتطويرها وتجديد معالمها، وقد جعلت لها معاهد خاصة مثل إكاديمية العلوم والآداب، وإكاديمية الموسيقي والرقص والآداب .

فن المقامات لدى علماء الأدب والنقد

بقلم: الأستاذ مهدي حسن الندوي *

إن أول كاتب للمقامات هو ابن دريد، الذي اخترع أربعين حديثا، عرضها عرضاً دقيقاً، وكان عهده أول مرحلة لنشوء المقامة ثم جاء بديع الزمان الهمداني المتوفى سنة ٣٩٨هـ، فجعل أربعمائة مقامة في الكدية وغيرها، ونحلها إلى أبي الفتح الإسكندري على لسان عيسى بن هشام، ولم يعثر الباحثون منها إلا على ثلاث وخمسين مقامة، ثم جاء بعده الحريري المتوفى سنة ٥١٦هـ، فكتب خمسين مقامة نسبها إلى أبي زيد السروجي على لسان الحارث بن همام، ونسجها على منوال البديع، ثم عالج المقامات بعد هذين النابغين طائفة من الكتاب لم يدركوا شأوهما كالمقامات السرقسطيه لابن الاشتركوني المتوفى سنة ٣٥٨هـ، وهي خمسون مقامة أنشأها بقرطبة عند وقوفه على ما أنشأ الحريري بالبصرة، وقد أتعب فيها خاطره وأسهر ناظره ونظم في نثرها ما لا يلزم ([1]) .

حدث فيها عن المنذر بن حمام عن السائب بن تمام، ومقامات الزمخشري (المتوفى سنة ٨٣٨هـ) مشهورة، والمقامات المسيحية لأبي العباس يحيى بن سعيد بن ماري النصراني البطري الطبيب (المتوفى سنة ٥٨٦هـ) نسجها على منول الحريري، ثم مقامات أحمد بن الأعظم الرازي، وهي اثنتا عشرة مقامة، كتبها سنة ٦٣٠هـ، وجعل الراوي فيها القعقاع بن زنباع وغيره، والمقامات الزينية لزين الديل بن صيقل الجزري المتوفى سنة٧٠١هـ، وهي خمسون مقامة عارض بها المقامات الحريرية، نسبها إلى أبي نصر المصري، وعزا روايتها إلى القاسم بن جريان الدمشقي، ثم مقامات السيوطي، وهي بالرسائل أشبه منها بالمقامات .

يقال ([2]): إن أول من أنشأ المقامات في الأدب العربي هو العالم اللغوي أبو بكر بن دريد (المتوفى عام٣٢١هـ)، فقد كتب أربعين مقامة كانت هي الأصل لفن المقامات، ولكن مقاماته غير معروفة لدينا .

---

* - مدرس في معهد الفردوس الرحماني، رحمت نغر، دوبكا، لكناؤ (الهند)

1 - مأخوذ من تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات .

2 - الأدب العربي وتاريخه تأليف محمد بن عبد الرحمن الربيع .

ثم جاء بعده العالم اللغوي أحمد بن فارس (المتوفى عام ٣٩٥هـ) فكتب عدداً من المقامات أيضاً .

ثم جاء بديع الزمان الهمداني، وكتب مقاماته المشهورة، وقد تأثر فيها بابن فارس حيث درس عليه، ويُعتبر البديع هو الرائد الحقيقي للمقامات في الأدب العربي .

ثم جاء كتاب كثيرون، أشهرهم أبو محمد القاسم بن علي الحريري صاحب المقامات المشهورة بمقامات الحريري .

ثم كثر كتاب المقامات كالزمخشري العالم اللغوي المفسر، وقد سمى مقاماته (أطواق الذهب)، وابن الاشتركوني السرقسطي الأندلسي (توفي عام ٥٣٨هـ) صاحب المقامات السرقسطية، وبطلها المنذر بن حمام، وراويها السائب بن تمام، ومقامات الإمام السيوطي، وأما في العصر الحديث فأنشأ محمد المويلحي حديث عيسى بن هشام، وناصيف اليازجي، «مجمع البحرين» .

ابن دريد :

هو ([1]) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي من أزد عمان، وقد انتقل أهله إلى البصرة بعد تمصيرها من غير أن تنقطع صلتهم بموطنهم الأول .

ولد ابن دريد في البصرة، سنة ٢٢٣هـ/٨٣٨م، ونشأ فيها وأخذ العلم عن عمه الحسين، وعن أبي عثمان الإشناندي، وأبي حاتم السجستاني، وسواهما، ولما دخل الزنج البصرة، سنة ٢٥٧هـ، (٨٧١م) هجرها ابن دريد إلى عمان حيث بقي اثنتي عشرة سنة، وفي نحو سنة ٢٦٩هـ(٩٠٩م) ذهب إلى الأهواز في صحبة واليها عبد الله بن محمد بن ميكال مؤدباً لابنه إسماعيل الميكالي المشهور، ثم إن عبد الله بن ميكال ولي ابن دريد على ديوان فارس فمكث ابن دريد في ولايته هذه نحو ست سنوات، ثم انتهت ولاية عبد الله على الأهواز، وذهب إلى خراسان فذهب ابن دريد معه، ولما توفي عبد الله عاد ابن دريد إلى بغداد(٣٠٨هـ /٩٢٠م) فأجرى الخليفة المقتدر عليه خمسين ديناراً في الشهر.

وفلج ابن دريد في آخر عمره وشفي، ثم عاوده الفالج فأبطل نصفه الأسفل، وطال عليه ذلك سنتين حتى توفي في ١٨/شعبان٣٢١هـ/ ٤/٨/٩٣٣م) .

ابن دريد من علماء اللغة البارعين ومن النقاد والشعراء أخذ العلم عنه جماعة من المشاهير، منهم السيرافي والمرزباني وأبو الفرج الأصفهاني والقالي والزجاجي، وابن خالويه، وأشهر كتبه وأعظمها كتاب الجمهرة في اللغة،

---

[1] - ص: ٤١٦، تاريخ الأدب العربي ج/٢، لعمر فروخ .

ألفه لبني ميكال حينما كان في بلاطهم، وله أيضاً "كتاب الملاحن"، "غريب القرآن" "أدب الكاتب" و"المقصور والممدود"، "المجتنى" (من أقوال الرسول) "المقتنى" الخ .

ولابن دريد ديوان شعر صغير يجري فيه على أسلوب العلماء بعيداً عن الطبع والرونق، وفي هذا الديوان مدح، وهجاء، ورثاء، وغزل، و وصف، وأغراض وحدانية مختلفة، وتكثر في شعره الحكمة، وقد اشتهر ابن دريد بقصيدته المقصورة المعروفة بمقصورة ابن دريد .

بديع الزمان الهمداني ومقاماته :

بديع الزمان أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمداني ولد في يوم ١٣/ من جمادى الثانية ٣٥٨هـ، (٥/ من يونيو ٩٦٩م)، في همدان، وأدبه فيها أبو الحسين أحمد بن فارس النحوي، وقدم في سنة ٣٨٠هـ (٩٩٠م) إلى جرجان، ثم انتقل منها سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م إلى نيسابور، فحظى فيها عند أبي سعيد بن محمد بن منصور الدهقان، ولقي بها الخوارزمي وهو في ذروة شهرته فضايقه وفاق عليه في المناظرة الأدبية، كما حكى ذلك في بعض رسائله، ثم طاف خراسان كلها وسجستان، حيث نزل منزلة الكرامة عند الأمير خلف بن أحمد، ولعله استقر به المطاف أخيراً في غزنة ([1]) .

وتوفي بديع الزمان بهراة سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م، وقيل: إنه دفن قبل وفاته، إذا أصابه الفالج، فظنه أهله ميتاً .

وقد اشتهر البديع بمقاماته، حتى قيل: إنه هومخترع فن المقامة في الأدب العربي، لكن الدراسات الأدبية الدقيقة أثبتت أن أبا بكر بن دريد وابن فارس قد سبقاه إلى ذلك، ولكن البديع بدون شك هو الذي أصل هذا الفن ونشره بين الناس ([2]) .

ويقال: إن البديع قد كتب أربعمائة مقامة، لكن مقاماته المعروفة تبلغ إلى إحدى وخمسين مقامة، أو ثلاثاً وخمسين مقامة، وبديع ([3]) الزمان يفتخر في إحدى رسائله بأنه صنف أربعمائة مقامة ([4]) وطبيعي أنه لا ينبغي فهم العدد

---

[1] - ص: ١٢، تاريخ الأدب العربي ج/٢ لكارل بروكلمان .

[2] - الأدب العربي وتاريخه للدكتور محمد بن عبد الرحمن الربيع.

[3] - ص: ١١٣، تاريخ الأدب العربي ج/٢ لكارل بروكلمان .

[4] - ص: ١٨، بديع الزمان الهمداني مارون عبود .

هنا على معناه الحرفي، وفاز [1] البديع بأعطيات الملوك والوزراء والأمراء والرؤساء، وكأنه رأى هراة نقطة الدائرة من تلك الحضرات فألقى فيها عصا الترحال وسعد جده فصاهر أحد أشرافها فاقتنى الضياع ومن فيها، حتى كتب إلى والده يقول له : تقع عينك على خمسمائة نير وألف أكار .

وحكي أنه مات مسموماً، وقيل: إنه مات بداء السكتة، ودفن حياً.

أما [2] مقاماته فقد ألفه بديع الزمان بعد وصوله إلى نيسابور سنة ٣٨٢هـ، والمتفق عليه عند كتاب التراجم أنها كانت أربعمائة، ونحن نرجح أنها كانت خمسين بدليلين :

الأول : أنه عارض بها أربعين حديثاً أنشأها ابن دريد، والمعارضات كانت تتقارب دائماً في الكمية .

الثاني: أن مقاماته لم يحفظ منها غير خمسين، فليس بمعقول أن يضيع من آثاره ثلاث مائة مقامة وخمسين، مع أن آثاره لم يضع منها إلا القليل .

يضاف إلى ذلك أن الحريري حين عارض بديع الزمان لم ينشأ في معارضة غير خمسين مقامة، ثم صار عدد الخمسين هو الرقم المتبع فيما كتب في هذا النوع من الأقاصيص .

في مقامات بديع الزمان نماذج من القصة القصيرة، ففيها «العقيدة» وتحليل الشخصيات والمقامة المضيرية التي وضعها في «الفكاهات» تمثل هذا الفن وكذلك المقامة البغدادية التي كتبها فيما بعد، وهاتان المقامتان هما أبرع ما قصّ بديع الزمان .

وفيما عدا ما وفق إليه في نظم بعض الأقاصيص نراه يقف حيث وقف من قبله ابن دريد، فيرسل العظة، أو يسوق الوصف، أو ينمق الفكاهة، أو يقضي بأحكام أدبية أو فلسفية، من دون أن يهتم بالعقدة القصصية .

إن [3] خطة المقامات هي من عمل البديع، فلا لابن فارس ولا لابن دريد يد في صنعها، فالهمداني هو الذي ألبسها هذا الطراز الموشى، وعلى طريقة هذه التي شقها سارت عجلة الأدب ألف عام، فكيف نحاول العثور على أثر لهذه الخطة عند غير البديع. أما المادة فسنرى أن صاحبنا قد قشها من هنا وهناك، وكأني به كان يحاول فيما سرده من قصص، أن يكون له في كل غرض قول يحاول أن يبذبه المتقدمين وإنما بأسلوب آخر، يدلنا على هذا ما

---

1 - ص: ٢٥٢ النثر الفني في القرن الرابع ج/١ تاليف زكي مبارك .

2 - ص: ٣٤، بديع الزمان الهمداني، مارون عبود.

3 - ص: ٣٠٨، بديع الزمان الهمداني، للدكتور مصطفى الشكعة

قاله في «المقامة الجاحظية» بلسان بطله أبي الفتح - أي الهمداني - يقول :

«إن الجاحظ منقاد لعريان الكلام يستعمله، نفور من معتاصه يهمله، فهل سمعتم له لفظة مصنوعة، أو كلمة غير مسموعة؟ فهو يعيد الإشارات، قبل الاستعارات، قريب العبارات» .

شغل [1] أدباء العربية وكتابها مدة طويلة من الزمن بفكرة المقامات ونشأتها، وهل هذا الفن عربي خالص، أم أنه صدى للأدب الفارسي الذي يرتبط مع الأدب العربي بصلات وثيقة؟. إلى غير ذلك من مختلف أساليب الحدس والتخمين .

وأول [2] من تعرض لهذه المسألة «الحصري» حينما ترجم لبديع الزمان في كتابه «زهر الآداب» قائلا: «ولما رأى أبا بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي أغرب أربعين حديثا، وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره، واستنتجها من معادن فكره، وأبداها للأبصار والبصائر، وأهداها للأفكار والضمائر، في معارض عجمية، وألفاظ حوشية، فجاء أكثر ما أظهر تنبو عن قبوله الطباع، ولا ترفع له حجبها الأسماع، وتوسع فيها، إذ حرف ألفاظها، ومعانيها في وجوه مختلفة، وضروب متصرفة، وعارضها بأربعمائة مقامة في الكذبة، تذوب ظرفاً وتقطر حسناً، ولا مناسبة بين المقامتين لفظاً ولا معنى، وعطف مساجلتهما، و وقف مناقلتهما بين رجلين، سمّى أحدهما عيسى بن هشام، والآخر: أبا الفتح الإسكندري وجعلهما يتهاديان الدر ويتنافثان السحر» .

ويميل [3] إلى هذا الرأي المرحوم الدكتور زكي مبارك قائلاً: إن بديع الزمان عارض بمقاماته أربعين حديثاً أنشأها ابن دريد، والمعارضات كانت تتقارب دائماً في الكمية .

يقول [4] الثعالبي في ترجمته لبديع الزمان، إنه أملى أربعمائة مقامة في نيسابور، وبديع الزمان نفسه يقول بهذا العدد في أكثر من مكان في رسائله، غير أن العدد الذي وصل إلينا من هذه المقامات اثنتان وخمسون مقامة لا غير، فأين ذهبت هذه الثروة الضخمة من ذلك الإنتاج الأدبي الرائع ؟

---

1 - ص: ٣٠٧، بديع الزمان الهمداني، للدكتور مصطفى الشكعة .

2 - ص: ٣٠٧، بديع الزمان الهمداني، للدكتور مصطفى الشكعة

3 - ص: ٣٠٦، النثر الفني ج/١.

4 - يتيمة الدهر الثعالبي ج/٣، ص: ٢٤١.

يرى [1] المرحوم زكي مبارك أن عدد مقامات بديع الزمان هو ذلك العدد الذي بين أيدينا لا غير، ويبنى رأيه على أن بديع الزمان أنشأ هذه المقامات معارضة لابن دريد في أحاديثه الأربعين، واستنتج من ذلك أنه يصح لبديع الزمان أن يكون قد عارض هذه الأحاديث الأربعين بأحاديث قدرها اثنان وخمسون، كما يجوز للشاعر أن يعارض القصيدة ذات الخمسين بيتاً بقصيدة أخرى ذات ستين بيتاً أو أكثر قليلا، ونحن لا نرى هذا الرأي لأننا نخالفه في أساس نظريته التي بنى عليها هذا الاستنتاج، وهي أن بديع الزمان قد أنشأ مقاماته ليعارض بها أحاديث ابن دريد دون تحرز كما ذكرنا في صفحات سابقة .

ويرجح الدكتور عبد الوهاب عزام أن بديع الزمان أملى أربعين مقامة في الكدية، وحرفت الكلمة إلى أربعمائة، وتتابع على ذلك النساخ، إذ كيف يضيع هذا العدد من المقامات على كلف الناس بها؟ ويستطرد الأستاذ الدكتور قائلا: ونحن إذا عددنا مقامات الكدية الصريحة وجدناها خمساً وثلاثين، ويجوز أن بديع الزمان قد اعتبر خمساً أخرى من مقامات الكدية، فإن صح هذا فقد أملى الأربعين في نيسابور، ثم أملي الأخريات بعد ذلك كالمقامات الست التي مدح بها الأمير خلف بن أحمد .

وهذا [2] رأي يقوم على الاستنتاج المعقول والمنطق الهادي، ولكن وبرغم ذلك ما الذي يمنع من أن يكون بديع الزمان قد كتب أربعمائة مقامة بالفعل، ولدينا من قدرته الخارقة وذكائه النادر، الشواهد الكثيرة التي تثبت تلك القدرة .

هذا بالإضافة إلى أن كثيراً من الكتب القيمة لأئمة الفكر والأدب من أمثال الجاحظ وأبي حيان والدينوري والبلخي وغيرهم قد ضاعت مع فرط حرص الناس عليها، والمقامات بجانب هذه الكتب لا تعد أمراً خطيراً.

وإذن فنحن نميل إلى ما ذكره الثعالبي وما ذكره البديع نفسه من أن عدد المقامات كان أربعمة اندثر منها أغلبها فلم يصل إلينا إلا هذا القدر الصغير البالغ اثنتين وخمسين مقامة .

---

1 - ص: ٢٠٦ النثر الفني ج/١ الدكتورزكي مبارك.

2 - ص:٣٣٨ بديع الزمان الهمداني، الدكتور مصطفى الشكعة .

انطباعات حول :

كتاب "العقلانية والإسلام"

للعلامة المربي الكبير أشرف علي التهانوي

تعريب: فضيلة الشيخ نور عالم خليل الأميني رئيس تحرير مجلة "الداعي" ديوبند (الهند)

بقلم: الأستاذ عبد الرشيد الندوي

محاضر كلية الشريعة وأصول الدين بجامعة ندوة العلماء لكناؤ (الهند)

الحمد رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد!

فقد تكرم شيخنا الجليل ومربينا الكريم فضيلة الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي - حفظه الله ورعاه ودامت فيوضه - بمنح كتاب "العقلانية والإسلام" للشيخ الرباني العلامة أشرف علي التهانوي رحمه الله تعالى لأقرأه وأكتب حوله انطباعاتي، وكان الكتاب في الأصل باللغة الأردية، نقله إلى العربية الأديب البارع والكاتب النابغ الشيخ نور عالم خليل الأميني رئيس تحرير مجلة "الداعي" الصادرة من الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند، الهند .

أما مؤلف الكتاب فهو الشيخ العالم الفقيه أشرف علي بن عبد الحق الحنفي التهانوي الواعظ المعروف بالفضل والأثر، ولد بـ"تهانه" قرية من أعمال مظفر نجر لخمس خلون من ربيع الآخر سنة ثمانين ومائتين بعد الألف، تخرج في الجامعة الإسلامية بديوبند، كان مرجعاً في التربية والإرشاد وإصلاح النفوس وتهذيب الأخلاق، تشد إليه الرحال ويقصده الراغبون في ذلك من أقاصي البلاد وأدانيها، وانتهت إليه الرياسة في تربية المريدين وإرشاد الطالبين، والاطلاع على غوائل النفوس ومداخل الشيطان، ومعالجة الأدواء الباطنة والأسقام النفسية .

كانت له اليد الطولى في المعارف الإلهية، ومهارة جيدة في التصنيف والتذكير، ورزق من حسن القبول ما لم يرزق غيره من العلماء والمشايخ في العصر الحاضر، وله مصنفات كثيرة ممتعة ما بين صغير وكبير وجزء لطيف ومجلدات ضخمة، وكان مشكلاً، منور الشبيه، أبيض مشرب الحمرة، ربعة من الرجال، حسن الثياب في غير إسراف وتجمل، حلو المنطق، لطيف العشرة، فيه دعابة مع مهابة، ووقار، وسكينة، ورزانة، كثير المحفوظ، حسن الاستشهاد بالأبيات، توفي إلى رحمة الله تعالى لست عشرة خلون من رجب سنة

يرى [1] المرحوم زكي مبارك أن عدد مقامات بديع الزمان هو ذلك العدد الذي بين أيدينا لا غير، ويبنى رأيه على أن بديع الزمان أنشأ هذه المقامات معارضة لابن دريد في أحاديثه الأربعين، واستنتج من ذلك أنه يصح لبديع الزمان أن يكون قد عارض هذه الأحاديث الأربعين بأحاديث قدرها اثنان وخمسون، كما يجوز للشاعر أن يعارض القصيدة ذات الخمسين بيتا بقصيدة أخرى ذات ستين بيتا أو أكثر قليلا، ونحن لا نرى هذا الرأي لأننا نخالفه في أساس نظريته التي بنى عليها هذا الاستنتاج، وهي أن بديع الزمان قد أنشأ مقاماته ليعارض بها أحاديث ابن دريد دون تحرز كما ذكرنا في صفحات سابقة .

ويرجح الدكتور عبد الوهاب عزام أن بديع الزمان أملى أربعين مقامة في الكدية، وحرفت الكلمة إلى أربعمائة، وتتابع على ذلك النساخ، إذ كيف يضيع هذا العدد من المقامات على كلف الناس بها؟ ويستطرد الأستاذ الدكتور قائلا: ونحن إذا عددنا مقامات الكدية الصريحة وجدناها خمسا وثلاثين، ويجوز أن بديع الزمان قد اعتبر خمسا أخرى من مقامات الكدية، فإن صح هذا فقد أملى الأربعين في نيسابور، ثم أملى الأخريات بعد ذلك كالمقامات الست التي مدح بها الأمير خلف بن أحمد .

وهذا [2] رأي يقوم على الاستنتاج المعقول والمنطق الهادي، ولكن وبرغم ذلك ما الذي يمنع من أن يكون بديع الزمان قد كتب أربعمائة مقامة بالفعل، ولدينا من قدرته الخارقة وذكائه النادر، الشواهد الكثيرة التي تثبت تلك القدرة .

هذا بالإضافة إلى أن كثيراً من الكتب القيمة لأئمة الفكر والأدب من أمثال الجاحظ وأبي حيان والدينوري والبلخي وغيرهم قد ضاعت مع فرط حرص الناس عليها، والمقامات بجانب هذه الكتب لا تعد أمراً خطيراً.

وإذن فنحن نميل إلى ما ذكره الثعالبي وما ذكره البديع نفسه من أن عدد المقامات كان أربعمة اندثر منها أغلبها فلم يصل إلينا إلا هذا القدر الصغير البالغ اثنتين وخمسين مقامة .

---

1 - ص: ٢٠٦ النثر الفني ج/١ الدكتورزكي مبارك.

2 - ص:٣٣٨ بديع الزمان الهمداني، الدكتور مصطفى الشكعة .

انطباعات حول :

كتاب "العقلانية والإسلام"

للعلامة المربي الكبير أشرف علي التهانوي

تعريب: فضيلة الشيخ نور عالم خليل الأميني رئيس تحرير مجلة "الداعي" ديوبند (الهند)

بقلم: الأستاذ عبد الرشيد الندوي

محاضر كلية الشريعة وأصول الدين بجامعة ندوة العلماء لكناؤ (الهند)

الحمد رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد!

فقد تكرم شيخنا الجليل ومربينا الكريم فضيلة الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي - حفظه الله ورعاه ودامت فيوضه - بمنح كتاب "العقلانية والإسلام" للشيخ الرباني العلامة أشرف علي التهانوي رحمه الله تعالى لأقرأه وأكتب حوله انطباعاتي، وكان الكتاب في الأصل باللغة الأردية، نقله إلى العربية الأديب البارع والكاتب النابغ الشيخ نور عالم خليل الأميني رئيس تحرير مجلة "الداعي" الصادرة من الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند، الهند .

أما مؤلف الكتاب فهو الشيخ العالم الفقيه أشرف علي بن عبد الحق الحنفي التهانوي الواعظ المعروف بالفضل والأثر، ولد بـ"تهانه" قرية من أعمال مظفر نجر لخمس خلون من ربيع الآخر سنة ثمانين ومائتين بعد الألف، تخرج في الجامعة الإسلامية بديوبند، كان مرجعا في التربية والإرشاد وإصلاح النفوس وتهذيب الأخلاق، تشد إليه الرحال ويقصده الراغبون في ذلك من أقاصي البلاد وأدانيها، وانتهت إليه الرياسة في تربية المريدين وإرشاد الطالبين، والاطلاع على غوائل النفوس ومداخل الشيطان، ومعالجة الأدواء الباطنة والأسقام النفسية .

كانت له اليد الطولى في المعارف الإلهية، ومهارة جيدة في التصنيف والتذكير، ورزق من حسن القبول ما لم يرزق غيره من العلماء والمشايخ في العصر الحاضر، وله مصنفات كثيرة ممتعة ما بين صغير وكبير وجزء لطيف ومجلدات ضخمة، وكان مشكلا، منور الشبيه، أبيض مشرب الحمرة، ربعة من الرجال، حسن الثياب في غير إسراف وتجمل، حلو المنطق، لطيف العشرة، فيه دعابة مع مهابة، ووقار، وسكينة، ورزانة، كثير المحفوظ، حسن الاستشهاد بالأبيات، توفي إلى رحمة الله تعالى لست عشرة خلون من رجب سنة

اثنتين وستين وثلاث مائة وألف، وقد بلغ من العمر اثنتين وثمانين سنة، ودفن في تهانه بهون [1].

وأما معرب الكتاب فهو الأديب الأريب والكاتب اللبيب أبو أسامة نور عالم خليل الأميني حفظه الله ورعاه من مواليد أواخر سنة ١٩٥٢م، من أدباء العربية في شبه القارة الهندية، أحب اللغة العربية وأهلها حباً جماً، واتصف بالغيرة عليها والبغض لكل من يحاربها بشكل من الأشكال، يشعر بالاعتزاز لدى الكتابة فيها، على حد قوله. قضى عشر سنوات في ندوة العلماء كمدرس استفاد خلالها من جوها الأدبي العلمي ونهل من نميرها، وهو يعمل حالياً كأستاذ للغة العربية في الجامعة الإسلامية العريقة دار العلوم ديوبند، ويرأس تحرير مجلة "الداعي" الصادرة منها الناطقة بلسان حالها، وقد صدرت له مؤلفات قيمة مثل "الصحابة ومكانتهم في الإسلام" وفلسطين في انتظار صلاح دين" وكذلك قام بتعريب عشرات من الكتب الأردية لكبار الكتاب والعلماء والمفكرين في شبه القارة أمثال: سماحة الشيخ العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي، وفضيلة الشيخ منظور النعماني الهندي، والشيخ الكبير حسين أحمد المدني رحمهم الله تعالى.

وأما موضوع الكتاب فهو يتجلى من عنوانه "الإسلام والعقلانية" يعني أن الإسلام دين يمشي فيه النقل الصحيح والعقل الصريح جنبا إلى جنب وأنه ليس حديث خرافة ومجموعة أساطير وأضغاث أحلام، وقد صنف شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية الحراني رحمه الله كتابه القيم" درء تعارض العقل والنقل" في عشرة أجزاء تكفل فيه بإثبات أن النقل الصحيح لا يعارض العقل الصريح أبداً، ولو وقع بين النقل والعقل تعارض فإما أن يكون النقل غير ثابت وإما أن يكون العقل مريضاً مصاباً بآفة كما قال الإمام ابن القيم في نونيته:

فإذا تعارض نص لفظ وارد ... والعقل حتى ليس يلتقيان
فالعقل إما فاسد ويظنه الرائ ... صحيحاً وهو ذو بطلان
أو أن ذلك النص ليس بثابت ... ما قاله المعصوم بالبرهان
ونصوصه ليس تعارض بعضها ... بعضاً فسل عنها عليم زمان
وإذا ظننت تعارضاً فيها فذا ... من آفة الأفهام والأذهان

وما أروع ما قاله حجة الإسلام الإمام الغزالي في فاتحة كتابه"الاقتصاد

[1] ملخص من كتاب الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام" المسمى بـ" نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر" ج/٨ ص: ١١٨٧ـ ١١٨٩، للشيخ عبد الحي بن فخرالدين بن عبد العلي الحسني (المتوفى ١٣٤١هـ) دارالنشر: دار ابن حزم بيروت، لبنان، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ /١٩٩٩م.

في الاعتقاد: "لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول. ومن ظن من الحشوية وجوب الجمود على التقليد، واتباع الظواهر ما أتوا به إلا من ضعف العقول وقلة البصائر، وإن من تغلغل من الفلاسفة وغلاة المعتزلة في تصرف العقل حتى صادموا به قواطع الشرع، ما أتوا به إلا من خبث الضمائر، فميل أولئك إلى التفريط وميل هؤلاء إلى الإفراط، وكلاهما بعيد عن الحزم والاحتياط. بل الواجب المحتوم في قواعد الاعتقاد ملازمة الاقتصاد والاعتماد على الصراط المستقيم؛ فكلا طرفي قصد الأمور ذميم.

فمثال العقل البصر السليم عن الآفات والأذى. ومثال القرآن الشمس المنتشرة الضياء، فأخلق بأن يكون طالب الاهتداء المستغني إذا استغنى بأحدهما عن الآخر في غمار الأغبياء، فالمعرض عن العقل مكتفياً بنور القرآن، مثاله المتعرض لنور الشمس مغمضاً للأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان. فالعقل مع الشرع نور على نور، والملاحظ بالعين العور لأحدهما على الخصوص متدل بحبل غرور".

وقال ابن رشد في أوائل كتابه "فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال": "وإذا كانت هذه الشريعة، حقا وداعية إلى النظر المؤدي إلى معرفة الحق فإنا معشر المسلمين، نعلم على القطع أنه لا يؤدي النظر البرهاني إلى مخالفة ما ورد به الشرع، فإن الحق لا يضاد الحق، بل يوافقه ويشهد له".

هذا وقد عمت في هذا العصر ظاهرة العقلانية المزعومة المتبجحة التي لا تبالي بالشرع، ولا تأبه بالغيب، وتتكر الثوابت الدينية بحجة مصادمتها للعقل بزعمهم، وما أتوا إلا من قبل سخف عقولهم واعتلال أذهانهم، وانحراف طبائعهم وخبث بواطنهم أو من سوء تمثيل أهل الدين وفساد طرائقهم في تفسيره وتفهيمه ( ).

فجزى الله تعالى حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي أحسن الجزاء على ما بذل من جهود مشكورة وقام به من خدمة عظيمة بتأليف هذا الكتاب القيم الذي تصدى فيه للإجابة عن الشكوك التي تعتري الأذهان في هذا العصر وإزالة الشبهات التي تقلق العقول المتحضرة. وإنه تكلم فيه بأسلوب واضح سائغ بسيط يقبله العقل ويسيغه الفهم ومهد بمقدمات بدهية وقضايا مسلمة مثل:

[1] - وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : "حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله" أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب من خص بالعلم قوماً دون قوم، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :"ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة، رواه مسلم في مقدمة صحيحه

هناك فرق بين ما يعلو على الفهم وبين ما يستحيل عند العقل فالإسلام جاء بما قد يسمو عن عقول البشر ولكن ما جاء البتة بما يستيحل عند العقل السليم.

ومثل: طلب الدليل مقبول ولكن المطالبة بالنظير مردودة، فكم من مخترعات فجأت العالم من غير نظير، فلو أخير الدين بما ليس له نظير فلا إشكال فيه، ومثل: كون الشيء موجودا لا يستلزم كونه محسوسا ومشاهدا، وما إلى ذلك.

وتعرض -رحمه الله- للشبهات المثارة حول الألوهية، والنبوة، والقرآن، والسنة، والقيامة، والجنة، والنار، وجاء عليها بأجوبة شافية مقنعة وردود كافية حكيمة، وشرح الموضوعات بأمثلة مفصلة واقعية مفهومة ونماذج فريدة معقولة.

وشكر الله سعي الشيخ الأميني حفظه الله ورعاه فقد أدى حق التعريب والترجمة ونقل الكتاب إلى العربية بروحه بأسلوب منسكب سائل فلا تكاد تشعر وأنت تقرأه بشائبة من العجمة ومما ينم أنه تعريب.

وهذا لا ينفي وجود بعض ما يحتاج إلى إعادة نظر أو تعديل، مثلا جاء في ص: ١٦٢- ١٦٣ وفي ص: ٣٦٠ كلمة "فلانة" نعتا بأداة التعريف وبدونها مرات، مع أن اللغويين صرحوا بأن كلمة "فلان" إذا استخدمت لغير آدمي دخلت عليها أداة التعريف، وهذا نص كتاب سيبويه: "فإذا كنيت عن غير الآدميين قلت: الفلان والفلانة؛ والهن والهنة، جعلوه كناية عن الناقة التي تسمى بكذا، والفرس الذي يسمى بكذا، ليفرقوا بين الآدميين والبهائم" وانظر كتاب العين للفراهيدي، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس، وتهذيب اللغة للأزهري، وتاج العروس للزبيدي، ولسان العرب لابن منظور، ثم إنها إذا كانت نعتا نسبت وقيل: المكان الفلاني والساعة الفلانية كما جاء في تهذيب اللغة والتاج واللسان: "فإذا نسبت قلت: فلان الفلاني. اهـ وقال الجاحظ في كتابه الحيوان طبعة دار الجيل (١٢٢/٤): "بلى فإن الحية الفلانية نزلت عليك حتى عضّت رأسك"، وقال القلقشندي في صبح الأعشى طبعة دار الفكر دمشق(١٧١/١): "ويجعل عليها بطاقة مثل أن يكتب إضبارة لما ورد من المكاتبات بالأعمال الفلانية في الشهر الفلاني". وقال النويري في نهاية الأرب في فنون الأدب دار الكتب العلمية بيروت لبنان (١٦٥/٧): "ولما كان من تقدم بالمملكة الفلانية قد زين له الشيطان أعماله، وعقد بجيال الغرور آماله". وكذلك هناك في الكتاب بعض القصص والحكايات مثل ما في ص: ٣٨٤ و٤١١ من بعض الحكايات عن الترمذي فلعل الأمثل والأحرى أن تنقل من المصادر العربية بنصها، والكمال لله وحده سبحانه وتعالى.

والحمد له أولا وآخرا، وصلى الله وسلم على نبيه وعلى آله.

صور وأوضاع

الإسلام ينتشر رغم العواصف العقبات

محمد واضح رشيد الحسني الندوي

تتضخم الحركات المعادية للإسلام، وتتقوى المقاومة من المذاهب والفلسفات السياسية والاجتماعية والدينية المختلفة في العالم، ولكن الإسلام يوسع رقعته بنصر الله وتأييده بسرعة تدهش المتتبعين له، وتجبرهم على قبول هذه الظاهرة، وتظهر مصداقية القرآن الكريم (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) [التوبة:٣٢] فتتابع الأخبار بدخول عدد لا يستهان به في الإسلام؛ من الذين يقبلونه طوعا بدون إرهاق، أو إغراء مادي، رغم الوضع المتدهور في الوطن الإسلامي، ورغم مختلف أنواع وسائل الإكراه والضغط التي يلاقيها المسلمون في مختلف أنحاء العالم على أيدي الحاكمين من المسلمين أنفسهم وغير المسلمين.

ينتشر الإسلام في إفريقيا رغم النشاطات المكثفة لجمعيات التنصير المنتشرة في القارة المدعمة بوسائل الإغراء، وأحيانا استعمال القوة، ويتصاعد عدد المقبلين على الإسلام في الدول الأوربية رغم حملة عامة ضد الإسلام، وكراهية المسلمين، وفرض قيود على عمل الدعوة، وليس وراء هذا الإقبال على الإسلام غرض مادي، أو سياسي، وكذلك الحال في دول آسيا ذات الأغلبية غير الإسلامية حيث يواجه المسلمون ظروف القهر والكبت، ويتعرض المعتنقون للإسلام، للأخطار وتهديدات من أسرهم، ومن أجهزة الأمن، ويتحملون خسارة مادية، وأحيانا الحرمان من الحقوق المدنية، و هذه حقيقة من الحقائق التي اعترفت بها حركات التنصير والإرساليات والمنظمات الاجتماعية والثقافية لغير المسلمين فجميعهم متفقون على القول بإن الإسلام أكثر الأديان انتشارا، ويتصاعد عدد المسلمين.

أفادت مجلة "المجتمع" في عددها الصادر في ٣١/ ١٢/ ٢٠١١م بأن الفاتيكان قد اعترف بأن الإسلام هو الديانة الأكثر انتشارا في العالم، وأنه تجاوز النصرانية بأكثر من ثلاثة ملايين شخص منذ ما يقرب من عام تقريبا، وأرجع الفاتيكان ذلك إلى اعتناق عدد كبير من الغربيين للإسلام، وقال الفاتيكان في بيان له: إنه يقر بأن الإسلام بات الديانة الأولى الأكثر انتشارا في جميع أنحاء المعمورة، إذ إن ١٩٪ من سكان العالم مسلمون مقابل ١٧.٥٪

من النصارى. وأشار الفاتيكان إلى الإقبال الكبير من جانب مواطنين غربيين نصارى ويهود ومن ديانات ومعتقدات أخرى على اعتناق الإسلام خلال السنوات الأخيرة الماضية. وتزامن البيان مع خروج الآلاف في مظاهرات في عدد من المدن الإيطالية ؛ احتجاجا على العنصرية تجاه المسلمين بعد هجوم أدى إلى مقتل بائعين جائلين مسلمين من إفريقيا، شملت المظاهرات مدن فلورنسا وميلانو وروما وبولونيا وفيرو.

فكان هذا الإقبال الشديد على الإسلام وانتشاره الفائق قد حمل الوكالات العالمية المعادية للدين الإسلامي على حملة سياسية، وإجراءات أمنية، وإحداث فتن لاتهام المسلمين بالإرهاب والعنف وخرق القانون لتتمكن من تطويق هذا الاتجاه.

وكجزء من هذه الحملة تشتغل قنوات متعددة للتلفزيون ومواقع تابعة لحركات ومنظمات وديانات ليل نهار، وتبث المواد المشوهة للإسلام والمسلمين وخاصة فيس بك الذي أصبح الآن وسيلة عامة للدعاية، وتستمر هذه الدعايات ضد الإسلام والمسلمين بدون مواجهة أو إجراء من الحكومات الإسلامية، كما تباشر الإرساليات أعمالها بدون أي صعوبة أو مانع من الحكومات، ولا تعترض حكومة من الحكومات على الدعم المالي المتضخم الذي يتدفق على هذه الوكالات من الدول الأوربية. وعلى عكس ذلك تفرض قيود على أي دعم للعمل الإسلامي وإن كان عملا إنسانيا.

تتحرك حكومات الدول غير الإسلامية بسرعة فور حدوث أي إجراء ضد مصالحها وعقائدها ومقدساتها رغم ادعائها بأنها علمانية، وأحدث مثال لذلك تحرك الدول الأوربية كلها على حادثة تفجير قنبلة أدت إلى مقتل ٤٠ مسيحياً في نيجيريا في عيد الميلاد، وفي نفس الوقت تقع تفجيرات تؤدي إلى مقتل عدد كبير من المسلمين في أنحاء مختلفة من العالم ولا يحرك ذلك ساكناً.

تتكرر الإساءة إلى الإسلام ومقدساته والقرآن الكريم، وتحدث اعتداءات على المسلمين وتنشر كتب مضللة، وتقارير مختلقة ومفبركة في أوربا، وأماكن أخرى، وتلازم الدول الإسلامية الصمت لإظهار موقف العلمانية، ولكن خبر محاكمة كتاب بهكوتي جيتا المقدس لدى الهندوس في محكمة فرعية في روسيا بتهمة كتاب يعلم الإرهاب، أثار السخط في الهند، وعمم هذا الخبر الإعلام، وصدرت بيانات ضد هذه المحاكمة، وتدخلت حكومة الهند بنفسها، وأبلغ وزير خارجية الهند حكومة روسيا سخط الهند على هذا الإجراء، وطالب التدخل في الأمر.

إن هذا الموقف من قبل حكومات الدول الإسلامية وعدم تأثرها بأي عمل ضد الإسلام والمسلمين مسئول إلى حد كبير عن معاناة المسلمين واستمرار محنتهم في أماكن مختلفة من العالم، ويتجرأ به المعتدون على الإسلام والمسلمين، وهذا الموقف يترك في شعوب تلك البلدان المسلمة شعوراً بأن حكوماتهم لا تمثل مشاعرهم وأحاسيسهم وعواطفهم.

وذلك بالإضافة إلى فرض عقبات أو حظر على أعمال الدعوة الإسلامية والعمل الإسلامي ومواقبة الحركات الإسلامية.

من دروس التاريخ أن الأمة التي تتعرض لأي اضطهاد في بناء أعلى مبادئها وقيمها، تنتصر على المضطهدين وتتغلب على العقبات، و تمتد مدة انتصارها وغلبتها حسب قوة مبادئها، وثبات المرابطين في المعركة ومثابرتهم، وتمسك أتباعها بهذه المبادئ، فطوبى للمظلومين في كل بقعة من العالم، وتلك الأيام نداولها بين الناس.

يتضمن تاريخ الإسلام أمثلة كثيرة لهذه الفترات الحاسمة حيث طغى عليه أعداؤه وبذلوا ما كان في وسعهم من قوة ليكتسحوه من أرضه ووطنه، ووضعوا السيف في كل من أظهر إيمانه به، فمر المسلمون بفترات حاسمة حيث هاجمهم أعداؤهم وغلبوا على أمرهم، وأجلوا المسلمين من أرضهم ووطنهم، ودمروا كل ما كان ينتمي إليهم، ولكن هذه الفترات من التاريخ الإسلامي، بينما كانت من جهة نكبة رثت لها الأجيال، كانت من جهة أخرى نقطة انطلاق للأمة الإسلامية، لأن هذه الفتن والنكبات أحدثت قوة جديدة تتصدى لها، وولدت دماً جديداً يغذي قلبها، وأنشأت جيلاً جديداً يشعر بمسئوليته، ويتأهب ليضحى في سبيل استعادة مجده، وشرفه وفوق ذلك كله أن هذه الفتن والعاهات التي تنشأ لاقتلاع جذور الإسلام وهي ثابتة راسخة، متعمقة لا تصل إليه الأيدي الآثمة، ولا تقلعها العواصف الرملية، في الواقع تقلع الفروع والشجيرات الخبيثة التي تنبت فيها بسبب الإهمال والتهاون في خدمتها ورعايتها.

فمن بديهيات الإسلام، ولكل فلسفة بديهيات، ومفروضات، ومسلمات، أنه يعيش ويترعرع في أرض قاحلة جرداء، ووسط عواصف هوجاء، وزوابع ..

لقد كانت الفكرة الاشتراكية والنظم الموالية للاتحاد السوفيتي والصين عقبة كبرى في سبيل اتباع التعاليم الإسلامية، فضلاً عن انتشار الإسلام، وبذلت الحكومات التي خضعت لنفوذ المعسكر الاشتراكي في عهد غلبته سائر الوسائل للقضاء على الاتجاه الديني، وفرضت بعض الحكومات

الإلحاد بصراحة، وجعلت العلمانية وسيلة لكبت الاتجاه الديني، وفرضت الحظر على الكتب حتى القرآن الكريم، وحاولت محو آثار التاريخ الإسلامي والحكم الإسلامي، في دول الأغلبية الإسلامية كدول آسيا الوسطى الإسلامية ودول إفريقيا والشرق الإسلامي، ولم تستثن من هذه السياسة المعادية للإسلام الدول العربية التي كان لها دور في التاريخ، وكان لها تاريخ مجيد في مواجهة الغزو الصليبي، والتتار، وقد سيطرت الاشتراكية على هذه الدول المرابطة، حتى الدولة التي عرفت بكنانة الإسلام.

وقد سقطت هذه النظم واندثرت بسقوط ذلك النظام الإلحادي الغاشم في عقر داره، بعد أن ظلت جاثمة أكثر من أربعين سنة في دول الإسلام، وقامت في هذه الدول ثورات شعبية تمخضت عن تمهيد سبيل لوصول أصحاب الاتجاه الإسلامي إلى الحكم بعد أن قضوا هذ الفترة الطويلة في السجون، وذهب عدد من سلفهم وقادتهم ضحية للحكم الغاشم، وانضموا إلى قافلة الشهداء.

لقد أثبتت هذه الثورات والانتخابات التي أجريت إثرها أن النظم السابقة كانت ضد طبيعة البلاد وشعبها، وأن الإسلام باق يتنفس ويزدهر، ولا يزال له دور في إنقاذ البشرية وإسعادها، إذا قدر له.

لقد أنجب الإسلام في جميع الفترات الحاسمة في تاريخه عبقريات تسلمت القيادة وصمدت أمام زحف أعدائه، وعالجت المعضلات التي كادت تقضي على كيان الأمة الإسلامية، وأسماء هذه العبقريات خالدة في التاريخ، يتمجد بها جيل بعد جيل، ولدت هذه العبقريات في مختلف العصور والقرون حسب الظروف، والتطلبات، فقامت بدورها، وكسبت للأمة مجدها وكرامتها، وسيقيض الله لمعالجة الأوضاع الجديدة والتهديدات رجالاً أكفاء، يثبتون جدارتهم وحكمتهم للقيادة السياسية وحل المشاكل المستحدثة.

إن الجيل الذي شهد مآسي في أرض الإسلام، الجيل الذي أجبر على أن يقدم من نفسه قرابين على أصنام مختلفة في كل بقعة من بقاع العالم، قد شاهد سقوط أصنام أجبر على السجود لهم، كما قد شاهد الجيل المعاصر سقوط حضارات وتفكك قوى سادت العالم، وذلك سنة الله على الأرض وصدق الله العظيم: " قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء، بيدك الخير إنك على كل شئ قدير" . [آل عمران:٢٦].

من كنوز القرآن الكريم

(٣٩)

مفردات القرآن

للعلامة السيد سليمان الندوي

(١٨٨٤-١٩٥٣م)

جمع وترجمة : محمد فرمان الندوي

الفحشاء:

كلمة الفحشاء مشتقة من الفحش، ومنها الفاحشة، معنى الفحش: مجاوزة الحد، ومعناه الآخر: القبح، لأن لكل شيء حداً، قرره الله جل وعلا، فمجاوزته عبارة عن السوء، وذلك ما يسمى بالفحشاء، مثلاً أن الله جل وعلا جعل لإشباع الغرائز البهيمية حدوداً، فمن جاوزها اعتبر مقترف الفحشاء، والفاحشة، ومتعدى الحدود، قال الله عزوجل:{وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۞ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۞ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ } [سورة المؤمنون: ٥-٧] . وقد سمي الزنا بالفاحشة وصار معناه أمرا قبيحاً، قال الله تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} [الإسراء: ٣٢].

وإذا أطلقنا هذه الكلمة عمت جميع الأعمال السيئة، والأقوال القبيحة، التي جاء في القرآن التأكيد على الاحتراز عنها (١).

المنكر:

معنى المنكر: كل ما تناكرته الطبائع، أي أن العمل الذي يحبه الناس، ويكون صاحبه ممدوحاً بين الناس من القيام به، فهو العمل المرضي المتعارف عليه، ويسمى في اصطلاح الدين بالمعروف، وكل عمل يكون غير مرضي عند الله ولدى كل طبقة، وتسقط به منزلة الإنسان في الناس فهو منكر، ولما أتى إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام ضيوف لا يعرفهم قال: {قَوْمٌ مُنْكَرُونَ} [الذاريات :٢٥] ولما جاء إخوة يوسف إليه عرفهم، لكنهم لم يعرفوه، فقال الله تعالى بهذه المناسبة:{فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ}[يوسف: ٥٨]. وإن وجه الإنسان وقت الغضب يتغير وتلوح عليه آثار الكراهة والسخط، هذا ما يعرف في الاصطلاح بالمنكر، قال الله عزوجل : {وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} [سورة الحج:٧٢].

فالمنكر هو العمل الذي يكرهه كل إنسان طبعاً، وإن سوءه يكون مكشوفاً تماماً، بحيث لا يحتاج إلى دليل، فيكرهه كل طبقة من الناس (٢)

البغي:

معنى البغي لغة: الاعتداء على أحد، والتطاول على أحد، قال الله في القرآن الكريم: {**خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ**} [سورة ص: ٢٢] . ولو منح الناس المال بكثرة، لأفسدوا في الأرض، قال عز من قائل :{**وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ**} [سورة الشورى: ٢٧] . و ورد في نفس السورة :{**إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**} [سورة الشورى: ٤٢] . فعلم من هذه الآيات أن معنى البغي الاعتداء على الآخر (٣) .

الكذب:

الكذب عادة سيئة من العادات الذميمة للإنسان، سواء صدر من اللسان أو من العمل، لأن أساس أعمالنا هو أن تكون ترجماناً للواقع، والكذب ضد الصدق، وهو أصل كل نوع من السيئات القولية والعملية، والكذب ليس سيئة مفردة، بل يرتكب معه صاحبه عديداً من السيئات، فذكر الله صفات قبيحة أخرى مع الكذب، قال الله عزوجل: {أَفَّاكٍ أَثِيمٍ} [سورة الشعراء: ٢٢٢]، وقال: {كَاذِبٌ كَفَّارٌ} [الزمر: ٣] ، وقال: {مُسْرِفٌ كَذَّابٌ} [المؤمن: ٢٨] .

الكذب له ألوان وأنواع :

أولاً: أن يكون الإنسان متجاهلاً عن الحقيقة، ويحترز من إبداء الحق رغم أنه يعلمه، فقد لعن الله عز وجل هؤلاء الكذابين بقوله :{**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**} [سورة البقرة: ١٥٩] .

ثانيا: أن ينطق بلسانه ما ليس في قلبه، أو ما يكون مضاداً لعلمه، فإنه كذب اللسان، أما كذب العمل فهو أن لا يوفي بما يعد ويتكلم به، قال عزوجل:{**بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**} [سورة التوبة: ٧٧] .

ثالثا: أن يحدث الإنسان بكل ما سمع من صدق وكذب بدون علم، فمثل هذا الرجل يكون وضيعاً بين الناس، ولا يكون له احترام وتقدير لديهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع" (مقدمة الجامع الصحيح للإمام مسلم)، فالذين يسمعون كل غث وسمين ويوقنون به سمّاهم الله تعالى: {سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ} وقال عن طائفة من اليهود: {سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ} [سورة المائدة: ٤١] .

إن من أخطر الكذب أن تتضرر به أعراض الناس وحقوقهم، ويقع الفساد في النظام الاجتماعي، هذا الكذب مختلف من أنواع الكذب الأخرى، فقد غير الإسلام اسمه إلى إفك و زور، معناهما: التزوير والقلب، فمن خطورته أن الله ذكره مع الشرك، وأمر المسلمين قائلا:{**فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ**

وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ} [سورة الحج: ٣٠] .

والزور لفظ عام يشمل الكذب والافتراء، وجاء في الأحاديث بمعنى شهادة الزور، فقد جاء فيما رواه الشيخان عن أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه قال: قال حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ حَدَّثَنَا الْجُرَيْرِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلَاثًا قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ قَالَ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ" (متفق عليه خ ٢٦٤٥٤ م ٨٧) . تبرز هنا نكتة من الخوض في الآية والحديث النبوي أن السيئة التي كانت أحق بالذكر بعد الشرك والكفر هي الكذب، فعلم منها فظاعته وشناعته .

وإن كلمة الإفك أشد من الزور، معناها: افتراء الكذب على أحد، وكان الكافرون يفترون على الله الكذب، فعبر عنه القرآن بكلمة إفك، ويتضح منه أنها تارة تتصل بالشرك، وإن ما اتهم به المنافقون أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها عبر عنه القرآن الكريم بالإفك، قال الله عزوجل:{**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ**} [سورة النور: ١١] . وقال في موضع آخر: {**تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ**} [سورة الشعراء: ٢٢٢] .

إن الحلف شهادة يحلف بها رجل لله، فيجعل الله شاهداً على قوله، وإن الخلف بدون حاجة قبيح ثم الحلف الكاذب أقبح منه، فاستنكر القرآن لمثل هذا الحلف والحالفين به، لأنه أشنع صورة للكذب، ولأن الحالف يشارك الله في عمله، فإذا حلف على أمر قادم وجب إيفاؤه، وإن لم يوف كان مذنباً، ووجب عليه الكفارة، وكفارته أن يعتق رقبة، أو يطعم عشرة مساكين، أو يلبسهم، فإن لم يستطع عليه فعليه صيام ثلاثة أيام، وقد أذن له أيضاً أن يتنازل عن حلفه إذا كانت صورة أخرى خيراً منها، ويكفر عن حلفه، قال الله عزوجل: {**لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ**} [سورة المائدة: ٨٩] (٤) .

الحواشي:

(١) سيرة النبي ج ٦/٢٧١.
(٢) المصدر نفسه ج ٦/٢٧٢.
(٣) المصدر نفسه ج ٦/٢٧٢.
(٤) المصدر نفسه ج ٦/٢٧٤ ـ ٢٧٨

أخبار علمية وثقافية :

حفلة تكريم في قاعة السيد ذاكر حسين بالجامعة الملية الإسلامية نيودلهي

قلم التحرير

عقد معهد الدراسات الإسلامية بالجامعة الملية الإسلامية، بمدينة دهلي (الهند) ندوة تكريم لأخينا الفاضل الشيخ محمد رحمة الله ناظم الندوي اعترافا بخدماته العلمية والدينية، فقد وفقه الله تعالى لإبراز كتب ومؤلفات لأعلام العلماء محلاة بالترجمة العربية والتخريج، والتحقيق، والتعليق، وقد تجاوز عمله التحقيقي ستة عشر كتابا ومؤلفا، ما بين مطبوع ومخطوط، وقد بدأ عمله بترجمة كتاب سيرة أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، وهو من تأليف العلامة السيد سليمان الندوي رحمه الله، وكان باللغة الأردية، فقام بترجمته إلى اللغة العربية الرشيقة الجميلة مع تخريج أحاديثه وتحليته بالتحقيق والتعليق: وكذلك كتابه (خطبات مدراس) ثماني خطب ومحاضرات، ألقاها في مدراس بدعوة من أحد وجهاء هذه المدينة، ترجمه إلى العربية الفصحى الجميلة بأسلوب حيوي رصين، وسمّاه "الرسالة المحمدية"، مع التخريج والتعليق وتحقيق ما كان يحتاج إليه من تحقيق في السيرة النبوية على صاحبها ألف ألف تحية وسلام .

وقد تناول عمله التحقيقي في الكتب المذكورة أدناه :

(١) المنثورات في عيون المسائل المهمات
(٢) معدل الصلاة
(٣) وجوب الطمأنينة والاعتدال في أركان الصلاة
(٤) سيرة أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها
(٥) الرسالة المحمدية
(٦) أشرف علي التهانوي حكيم الأمة
(٧) أدلة الحنفية من الأحاديث النبوية
(٨) رسائل في الدعوة إلى الإسلام
(٩) شرعة الإسلام
(١٠) ثلاث رسائل للعلامة الكشميري
(١١) الطريقة المحمدية والسيرة الأحمدية
(١٢) المدخل الوجيز إلى دراسة الإعجاز في الكتاب العزيز
(١٣) مبادئ فقه القانون الدولي
(١٤) الأبواب والتراجم لصحيح البخاري

(١٥) جزء حجة الوداع وعمرات النبي صلى الله عليه وسلم
(١٦) مختصر الطحاوي .

وقد رأى جماعة من زملائه وأساتذته أن تُعقد ندوة لتعريف عمله العلمي الموضوعي وتشجيع عالم شاب مثله، وُفق لخدمة العلم والدين بفضل من الله تعالى ولقد قام البروفيسور أختر الواسع عميد القسم الديني للدراسات الإسلامية بالجامعة الملية الإسلامية بالإشراف على عقد هذه الندوة في قاعة ذاكر حسين بالجامعة، وقد رأسها كاتب هذه السطور المتواضعة، كما أن جماعة كبيرة من الأساتذة وطلاب الجامعة حضروا برامج الندوة، ورحبوا بالشيخ رحمة الله ناظم الندوي، وبأعماله التحقيقية باللغة العربية .

وقد كان فضيلة الشيخ العالم الجليل محمد قاسم أحد المسئولين عن الإمارة الشرعية في بتنه، بولاية بيهار، ضيف الشرف بالندوة، وهو عمه الكبير، ووالده فضيلة الحافظ محمد ناظم، وفضيلة الشيخ السيد شاهد المظاهري أمين عام جامعة مظاهر علوم بسهارنبور، والشيخ المقرئ شبير أحمد مدير المدرسة الإسلامية في دربنغة بهار، والأستاذ عبد القادر شمس، أحد مديري جريدة "سهارا" العالمية بدلهي الجديدة، والشيخ رحمة الله الندوي من أبناء دار العلوم لندوة العلماء التي قضى فيها وقتا طيبا في الدارسة والاستفادة منذ بداية التسعينيات، وتخرج منها في الدراسات العليا، وأحرز نجاحا باهرا فيها، ثم التحق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة حيث عكف على الدراسة والاستفادة حتى حصلت له البراعة في الأعمال العلمية .

ونحن إذ نبارك فيه هذا التوفيق الغالي للعمل العلمي والتحقيقي، نتمنى على الله تعالى أن يوسع نطاق أعماله وخدماته، ويجعله من رواد العلم والتحقيق على المستوى العالمي، والله ولي التوفيق .

هيئة التعليم الديني تعقد مؤتمرها التعليمي في مدينة بستي (الهند)

محمد فرمان الندوي

عقدت هيئة التعليم الديني مؤتمراً تعليمياً بمناسبة مرور ٥٠ عاما على تأسيسها في مدينة بستي، في ١٤٣٣/١/٢٨هـ المصادف ٢٠١١/١٢/٢٥م برئاسة سعادة الشيخ الجليل السيد محمد الرابع الحسني الندوي الرئيس العام للهيئة، ورئيس هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لمسلمي الهند، وذلك من قبل جمعية التعليم الدينية لمدينة بستي، ومعلوم أن هذه الهيئة أنشئت على دعوة من المحامي الكبير محمد عديل العباسي رحمه الله تعالى عام ١٩٥٩م، لصيانة إيمان الجيل الجديد وعقيدته من الأوهام الفاسدة .

قدم سعادة رئيس المؤتمر خطبته الرئاسية قال فيها: إن التعليم يجعل الإنسان إنساناً حقيقياً، وهذه المسئولية تعود على المثقفين بثقافة التعليم في الأمة، فإنهم إن لم يعتنوا بهذا الجانب فسينصهر الجيل الجديد مائة في المائة في بوتقة التعليم الغربي الحر في البلاد، وقد شهدت التجارب أن المناطق التي لم تأخذ الأمر بجدية انطمست فيها معالم الإسلام، وأضاف الشيخ قائلا: إن هيئة التعليم الديني تواصل نشاطاتها منذ خمسين عاما في هذا المجال، وكان رئيسها الأول المفكر الإسلامي الكبير العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله، ولا تزال الهيئة تنشئ الكتاتيب لتعليم الأطفال، وتؤسس المدارس في القرى والمدن نظراً إلى خطورة هذا الأمر.

وتحدث في المؤتمر فضيلة الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي نائب الرئيس للهيئة، ومدير جامعة ندوة العلماء فقال: إن الله عز وعلا قد خلقنا لقيادة العالم، لكن يا للأسف قد رضينا بالدون. وبالسير في مؤخر الركب، هذا الذي سبب لنا إلى أن نعتمد على الآخرين لتحقيق أهدافنا، قال الشيخ: إن الإيمان بالله وبجميع شعبه أعز إلينا من كل شيء، فإذا آثره المسلمون على كل شيء حتى على النفس كانوا أعزة، مرفوعي الرأس في العالم.

وقد افتتح المؤتمر الأستاذ خالد رشيد الفرنجي محلي رئيس دار العلوم النظامية فرنغي محل بلكناؤ، وتحدث إلى المؤتمر كل من المحامي ظفر ياب الجيلاني، والدكتور مسعود الحسن العثماني، الأمين العام للهيئة، وهو الذي أدار الحفل بأحسن أسلوب.

وقد حضر المؤتمر سعادة الأستاذ الجليل السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي رئيس الشؤون التعليمية لندوة العلماء، والشيخ الطبيب جنيد عالم الندوي من غوركبور، والشيخ محمد أسعد القاسمي، والأستاذ محمد أسجد الندوي، والأستاذ أسد الله الندوي رئيس جامعة أمهات المؤمنين برائي بريلي، والأستاذ طارق شفيق الندوي،والأستاذ نعيم الرحمن الصديقي الندوى من لكناؤ وكثير من وجهاء الولاية الشمالية، والمعنيين بالتعليم.

وقد استضافت دار العلوم الإسلامية في مدينة بستي وفد ندوة العلماء، لكناؤ، وألقى بالمناسبة سعادة الشيخ الجليل السيد محمد الرابع الحسني الندوي خطبة مؤثرة أمام الطلبة وأساتذة دار العلوم الإسلامية، ومنح الطلبة إجازة الحديث الشريف، وقد تم ذلك بجهد متواصل من الأخ محمد أحمد الندوي حفيد الشيخ الجليل محمد باقر القاسمي رحمه الله مؤسس دا رالعلوم بستي. فجزاهم الله تعالى جميعاً.

إصدارات جديدة:

ردود على اعتراضات موجهة إلى الإسلام

قلم التحرير

الإمام محمد قاسم النانوتوي عاش في القرن التاسع عشر الميلادي، الموافق القرن الثالث عشر الهجري، الذي يعتبر أحرج فترة بالنسبة إلى تاريخ الإسلام، عقيدة ومنهجا ونظاما، سقطت أمام هذا التاريخ صروح الديانات المنسوخة والبائدة وفلسفات الحضارات المادية، ولم يعد لها دور في بناء المجتمعات الإنسانية وإصلاح الفساد الذي تطرق إليها بتأثير الحاقدين على الإسلام وتفاعلات الهدامين للأفكار الإيجابية لصالح الحياة والكون والإنسان، التي كانت نتاج العقيدة والإيمان وصالح الأعمال.

وفي هذا القرن بالذات كانت وطأة الهجمات على الإسلام والمسلمين شديدة للغاية، كأن الحضارة الغربية المادية كانت على ميعاد، فاغرة فاها لابتلاع القيم وتعاليم الدين الإسلامي بجميع مناحيها وجوانبها، عقيدة وعبادة وأخلاقا فاضلة وقضايا اجتماعية إنسانية، مما يتصل بالحقوق والمعاملات، والنزاهة في التبادل العلمي والأدبي والثقافي، معلوم أن حملة لواء هذا الحقد على الإسلام قد استعمروا الأراضي والبلدان لتحقيق أحلامهم في بلاد المسلمين، وتنفيذ أفكارهم في قلوب الناس، الواقع الذي انتشر به الفساد على جميع المستويات، في كل مكان، وخاصة في بلاد الهند، التي كانت مرتعا خصبا لزرع بذور الفساد، مستهدفا بذلك المسلمون.

إن الإمام الشيخ محمد قاسم النانوتوي رحمه الله كان قد أكرمه الله سبحانه بالفراسة الإيمانية الناضجة، فتفرس بها نوايا المستعمر الإنجليز في هذه البلاد، فعقد العزيمة على محاربة هذا الفساد ومقاومة خطر الاستعمار وعزم على تحرير البلاد، من شؤم الاستعمار الإنجليزي، وقد التف حوله أصحابه وأتباعه للخوض في هذه المعركة معه، ومواجهة جيش الإنجليز في بلدة "شاملي" بمديرية مظفر نجر، حيث تولى هذا الجيش مدبرا منهزما، وبيض الله وجه الإمام، والعلماء المسلمين في هذه المعركة.

كما أن الاستعمار الإنجليزي أورث غير المسلمين في هذه البلاد، حقداً وعداءً على الدين الإسلامي، وأفكارا هدامة حتى وقف بعض الزعماء الهندوس ومنهم الباندیت دياننند سرسوتي الذي كان يحمل في نفسه فكرا زائغا وعداءً للإسلام.

فكان يتحدى أن يقوم أحد بالرد على اعتراضاته الباطلة نحو قدرة الله تعالى والعقيدة، والإيمان والذبائح وتحريم الخمر ودفن الموتى وما إلى ذلك.

فاستجابة لهذا التحدي قام عدد من العلماء بالرد المفحم على مرئياته السقيمة نحو الإسلام والمسلمين، ولكنه أبى إلا أن يناظر الإمام محمد قاسم النانوتوي، وهنالك استجاب الإمام تحديه، وسافر إلى مقر هذا الرجل في مدينة "روركي" بمديرية سهارنبور، فلما وصل الشيخ الإمام إلى مقر سرسوتي فرّ هاربا من أي مواجهة للمناظرة معه، وقد ألف الإمام كتابين للرد على هذه الاعتراضات التي وجهها إليه سرسوتي، أولهما: "انتصار الاسلام"، والثاني: "استقبال الكعبة حقيقته ومعناه" وهذا الكتاب الثاني رد على الاعتراض الحادي عشر، الذي كان حول استقبال الكعبة وتسميته ذلك بالوثنية عند سرسوتي، وكان الكتابان باللغة الأردية، ترجمهما الأستاذ محمد ساجد القاسمي، أستاذ الأدب العربي بالجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند، بلغة عربية رشيقة.

ونحن إذ نهنئه على هذه الخدمة الجليلة، ندعو الله الله سبحانه أن يجعل هذا الكتاب العربي موضع عناية العلماء والدعاة في العالم العربي الإسلامي، ومركز اهتمامهم بما يحويه من العلم والمعرفة.

٢- محاورات في الدين

كتاب قيم للإمام محمد قاسم النانوتوي (المتوفى١٢٩٧هـ) ومؤسس الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند، والكتاب في الواقع ترجمة باللغة العربية لكتابيه "كفتكوئي مذهبي"(الحوار الديني) والثاني: مناظرة شاهجهانفور، قام بترجمة هذين الكتابين إلى اللغة العربية الأستاذ محمد ساجد القاسمي أستاذ الأدب العربي بالجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند، واعتنت بنشره أكاديمية شيخ الهند بالجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند.

وهذا الكتاب "محاورات في الدين" يتحدث عن المناظرات والمناقشات التي جرت بين الإمام محمد قاسم النانوتي والمنشي بياري لال الذي ساعده القس لويس حول معرفة الذات الإلهية في مديرية شاهجهانبور، بولاية أترابراديش، الهند، وقد حضر هذه المناظرات زعماء المسيحية والهندوسية وعلماء الإسلام في عدد كبير، وقد عقد لهذ الغرض اجتماعان: أولهما في ٧/مايو ١٩٦٧م، والاجتماع الثاني: ١٩-٢٠/مارس١٩٧٧م، قام بقيادتهما الإمام محمد قاسم النانوتوي مع تلاميذه وزملائه.

والكتاب هذا يشرح تفاصيل هذه المناظرات والحوارات باللغة العربية لكي يطلع عليها علماء العرب و دعاتهم، ويستفيدوا من الحقائق والأسرار التي أثارها الإمام النانوتوي بعد أن كانت مختفية على الأذهان والأنظار.

نرجو الله تعالى أن ينال هذا الكتاب قبولاً بين الأوساط العربية والدول الإسلامية، ويكون بمثابة مفتاح لكنوز العلم والمعرفة.

٣- أبو محمد المكي بن أبي طالب القيسي: سيرته وآثاره

تحدث في هذا الكتاب مؤلفه الكريم فضيلة الأستاذ سكندر علي الإصلاحي عن سيرة علم من أعلام التاريخ الأندلسي، وهو أبو محمد المكي بن أبي طالب القيرواني الأندلسي القرطبي (٣٥٥-٤٣٨هـ).

والكتاب يحتوي على مقدمة وثلاثة أبواب، فالمقدمة تشتمل على تاريخ الأندلس باختصار، أما الباب الأول فهو يحتوي على عصر المكي والبيئة التي نشأ فيها، وكانت سياسية واجتماعية وعلمية. أما الباب الثاني فيتحدث عن حياة أبي محمد المكي وسيرته وأساتذته ومعاصريه، كما أن الباب الثالث فيه بيان لآثار أبي محمد المكي وتلامذته ومؤلفاته، وفي خاتمة الكتاب ذكر المؤلف الكريم آراء العلماء فيه، واعترافهم بنبوغه وبراعته في فنون الأدب والرسوخ في علوم القرآن والسنة، منهم العلامة اليافعي شيخ الأندلس، وياقوت الحموي والعلامة الصفدي، وابن بشكوال، والعلامة السيوطي، ولسان الخطيب، والحافظ الذهبي، وابن خلكان، والقاضي عياض، وأبو عمر أحمد بن مهدي المقرئ. ونحن إذ نتقدم بالتهاني القلبية إلى فضيلة الشيخ سكندر علي الإصلاحي على إخراجه هذه الوثيقة التاريخية عن أبي محمد المكي بن أبي طالب القيسي(ت: ٤٣٨م) ندعو الله سبحانه وتعالى أن يجزيه على هذا العمل بأحسن ما يجزي به عباده العاملين المخلصين، والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

٤- الطب الطبيعي في المنظور العلمي والديني

هذا كتاب ألفه الدكتور عبد الكريم محمد بلغة مليالم (لغة كيرالا الجنوبية) وترجمه إلى العربية سعادة الدكتور جمال الدين الفاروقي، نظرا إلى ما يتضمن هذا الكتاب من نظرية الطب الطبيعي وفضائله بواسطة الوسائل السمعية والبصرية والصحفية، وقد مارس الدكتور عبدالكريم هذا الطب الطبيعي لمعالجة المرضى منذ عام ١٩٨٩م، وقام بترويج هذا الطب الطبيعي في ضوء العلم والدين، وهو يشرف على العمل الطبي الذي يقوم به مركز هيجن الطبيعي في كاليكوت، يقول الدكتور جمال الدين الفاروقي:

«وفي الحقيقة لا يوجد تعارض بين المبادئ الدينية والعلم الحديث، بل يجريان بتمام الصداقة والوئام، وينبغي أن نوضح للعوام هذه الحقيقة، وسوف يتساءل القارئ: هل ثبتت فعالية العلاج الطبيعي حسب المعايير العلمية، ولم نحرم اللحوم والحليب والبيض؟ وأي أساس نعتمد عليه لتبريره في هذا العصر الذي بلغ العلم الحديث ذراه، وينبغي أن نزيل الشكوك والتهم التي خيمت على هذا العلاج».

وعلى هذا، فإن الكتاب له أهمية، وسيستفيد منه الأطباء والبارعون في الدول الإسلامية العربية، وفي الأوساط العربية والطبيعية في بلادنا كذلك.

إنني أبارك هذه الخطوة الموفقة، وأدعو الله تعالى أن يجزي المؤلف والمترجم كليهما جزاءً موفوراً، ويتقبل هذا العمل المفيد وينفع به الآخرين.

الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس في ذمة الله تعالى

قلم التحرير

تلقينا ببالغ الأسف والأسى نبأ وفاة الأستاذ الدكتور عبد الحليم عبدالفتاح محمد عويس أحد الأعضاء الأساسيين لرابطة الأدب الإسلامي العالمية (صباح الأربعاء ١١/ من محرم لعام ١٤٣٣هـ)، ممن بذلوا مجهودات غالية في توسعة نشاطات الرابطة وتطوير برامجها، وقد عمل في مجال أسلمة الأدب بفكره الأدبي النير وإشراقة روحه الإسلامية في أوساط العلم والأدب، والعودة بالأدباء المتنورين إلى الاعتراف بأن الأدب الإسلامي هو في الواقع أدب الإنسان، الذي يربط بين الحياة والإنسان والكون، ويحدد معالم الحضارة الإسلامية الإنسانية، ويوفر للعالم البشري جميع أسباب العلم والمعارف وينور له الطريق نحو مستقبل مشرق.

إنه عَرف سماحة العلامة، الإمام أبا الحسن علي الحسني الندوي المفكر الإسلامي الكبير والداعية الحكيم، من خلال كتابه: "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" ضمن الشباب المسلم في العالم الإسلامي العربي، وكان من أحرص الناس على الاتصال بالإمام الندوي رحمه الله تعالى، وقد تحقق ذلك في المملكة العربية السعودية، التي كان يزورها سماحة الشيخ الندوي في مناسبات إسلامية ودعوية، ومؤتمرات دينية حيث كان فقيدنا الدكتور عبد الحليم عويس أستاذاً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ومنذ ذلك الوقت توطدت صلته بالإمام الندوي، حتى طلب منه الإمام الندوي رحمه الله تعالى أن يدبج بقلمه مقدمة لكتاب البروفيسور الدكتور قدرة الله الحسيني الذي ألف كتاباً بإشراف الإمام الندوي رحمه الله تعالى، حول حياة والده العلامة الشريف السيد عبد الحي الحسني، الحافلة بالإنجازات العلمية والتاريخية، والأدبية.

وقد طبع هذا الكتاب، ونال قبولاً بين الأوساط العلمية والأدبية في العالم الإسلامي، والقارة الهندية الباكستانية، ومنذ ذلك الوقت تكررت زيارة عبد الحليم عويس لندوة العلماء، للإفادة والاستفادة، وخاصة في أول ندوة لرابطة الأدب الإسلامي في ندوة العلماء، مع الأستاذ الدكتور عبد القدوس أبي صالح، والأستاذ الدكتور عبد الباسط بدر، والأستاذ الدكتور محمد حسن بريغش بوجه خاص، فتوثقت صلته بندوة العلماء، ورجلها العظيم العلامة الإمام الندوي، ومن معه من جماعة تلاميذه، فقد دعي ذات مرة لإلقاء المحاضرات

أمام طلبة دار العلوم، حيث أقام في أسرة الجامعة فترة كأحد أبنائها مع سماحة الإمام الندوي، والعلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء اليوم.

وظلت هذه الصلة الأخوية المخلصة تتسع على مرّ الأيام، وكلما كانت مناسبة من ندوات رابطة الأدب الإسلامي في الدول العربية يشاركها وفد من ندوة العلماء، سواء بالسعودية أو القاهرة، أو في تركيا، أو المملكة الأردنية.

كان الفقيد عويس رحمه الله تعالى يرحب بأعضاء الوفد ترحيبا قويا في القاهرة، وكان لا يفارقهم مدة الإقامة، ويقيم مأدبة في مقره، لمزيد من تبادل الحب، وأذكر أن صلته كانت وطيدة بالأستاذ الشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي رئيس تحرير صحيفة "الرائد" والمستشار التعليمي لندوة العلماء، فكانا يتبادلان الحب والثقة.

عاش حياة حافلة بجلائل الأعمال العلمية والتاريخية، والإشراف عليها والاعتناء بموضوعات السيرة، والأدب، والتاريخ والاجتماع، وعلوم القرآن، والفرق، والمذاهب.

وإننا إذ ندعو الله سبحانه وتعالى أن يقبل أعماله وخدماته الكثيرة وإنجازاته العلمية والدينية، نتقدم بالتعازي القلبية إلى أهله وأنجاله وجميع أعضاء أسرته العلمية والدموية، ونتمنى على الله أن يتغمده بواسع رحمته ويصفح عن زلاته ويعدّ له مكانة عالية في جنات الفردوس، ويلهم أهله وذويه الصبر الجميل على المصاب والدعاء له بالمغفرة والرحمة.

لا دوام إلا لله "وكل شيء هالك إلا وجهه"

وفيما يلي ننشر مقالاً أرسله إلينا الأستاذ صاحب عالم الأعظمي الندوي من القاهرة حول حياة الفقيد رحمه الله، وخدماته العلمية، والدينية، والمقال يلقي ضوءاً ساطعاً على حياته المثالية:

الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس داعية وأديبا

بقلم: الأستاذ صاحب عالم الأعظمي الندوي

انتقل إلى رحمة الله تعالى المؤرخ والمفكر الإسلامي الدكتور عبد الحليم عويس أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية ورئيس تحرير مجلة "التبيان" التي تصدرها الجمعية الشرعية في مصر صباح اليوم عن عمر يناهز ٦٨ عاما.

وشيعت جنازته في مسقط رأسه قرية سندسيس بالمحلة الكبرى بمحافظة الغربية بعد صلاة العصر، وقد حضر صلاة الجنازة مندوب عن الإمام الأكبر

شيخ الأزهر، والدكتور محمد المختار المهدي الرئيس العام للجمعية الشرعية، والأستاذ الدكتور محمد عمارة، والأستاذ الدكتور راغب السرجاني والكثير من زملائه وتلاميذه.

حياته :

الدكتور عبد الحليم عبد الفتاح محمد عويس وشهرته (الدكتور عبد الحليم عويس) من مواليد ١٩٤٣/٧/١٢م في قرية سندسيس، مركز المحلة الكبرى، الغربية.

المؤهلات العلمية :

حصل على ليسانس الدراسات العربية والإسلامية من كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ثم حصل على درجة الماجستير عام ١٩٧٧م، عن أطروحته:"دولة بني حماد في الجزائر".

نال درجة الدكتوراة في العلم عام ١٩٧٨ عن بحث: "ابن حزم الأندلسي مؤرخاً" ثم حاز على درجة الدكتواره الفخرية من الجامعة الدولية بأمريكا اللاتينية ٢٠٠٩م ، ثم حاز على الوسام الذهبي للعلم والآداب والفنون من الجمهورية السودانية عام ٢٠١١م.

عمل لمدة خمسة عشر عاما في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، وأستاذاً للتاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة الزقازيق (منتدب) للدراسات العليا، ثم نائبا لرئيس جامعة روتردام الإسلامية سابقا، ثم عمل رئيساً لتحرير مجلة "التبيان" التي تصدرها الجمعية الشرعية بمصر.

شغل الدكتور عبد الحليم عويس منصب عضو في عدد من المؤسسات الثقافية مثل: اتحاد الكتاب، ونقابة الصحفيين بمصر، واتحاد المؤرخين العرب، والمجالس القومية المتخصصة.

عمل الدكتور عبد الحليم - رحمه الله - باحثاً بمراقبة المناهج وبمركز بحوث المناهج والدراسات التربوية بالكويت في الفترة ما بين ١٩٧١ - ١٩٧٥، ثم محاضرا لمادة الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في الفترة ما بين ١٩٧٥ - ١٩٧٧.

وبعد حصوله على الدكتوراه عاد إلى الجامعة السابقة نفسها، حيث عين أستاذاً مساعداً، ثم أستاذاً مشاركاً، ثم أستاذاً بالجامعة نفسها... وقد عمل في هذه الجامعة خمس عشرة سنة متتالية دون انقطاع من ١٩٧٨إلى ١٩٩٣/١٩٩٤م، وكان مستشاراً لرئيس الجامعة ومتعاوناً في تيسير أعمال رابطة الجامعة الإسلامية.

أوفدته الجامعة أستاذاً زائراً لعدد كبير من الجامعات في الهند، (التي

زارها خمس عشرة زيارة) وباكستان، وماليزيا، والجزائر، (زارها أكثر من عشرين زيارة) وتونس، والسودان، وتركيا وغيرها.

- وقام بزيارات علمية وثقافية للولايات المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، وأسبانيا، وبلجيكا، وهولندا، ودول الخليج.
- حضر أكثر من مائة مؤتمر عالمي، ومؤتمرات أخرى إقليمية.

أشرف على نحو عشرين رسالة ماجستير ودكتوراة في الحضارة والتاريخ من خلال عمله في جامعة الإمام بالرياض، كما ناقش أكثر من هذا العدد في الجامعات السعودية، وناقش في مصر رسالة دكتوراة في جامعة عين شمس، (كلية البنات) في فلسفة الحضارة، وأشرف على رسالة دكتوراة في كلية الآداب بجامعة الزقازيق (قسم التاريخ).

- أشرف على رسالتين في مادة (الإعلام الإسلامي) بكلية الإعلام والدعوة بالرياض، (رسالة ماجستير).
- قام بالاشتراك في الإعداد لعدد من المؤتمرات والندوات من خلال رابطة الجامعات الإسلامية، بعضها في الخليج، وبعضها في مصر، ومن بينها سبعة مؤتمرات مع جامعات مصرية كعين شمس، والزقازيق، والمنوفية.
- أشرف على نحو عشرين رسالة ماجستير ودكتوراة في جامعة الزقازيق، وناقش عدداً آخر بالمعهد.
- أسهم في الدعم العلمي والتربوي لإنشاء الجامعة الإسلامية (بروتردام، هولندا) وقام بزيارتها لنحو شهر ونصف لعدة أعوام، حتى استقامت مسيرتها الأكاديمية، وقد درّس بها المواد التالية: (السيرة - العقيدة - التاريخ الأموي والعباسي - علوم القرآن - الفرق والمذاهب).
- وقام بإنشاء المكتبة العربية للجامعة، فقد كانت المكتبة باللغات الأجنبية نتيجة تبرع المستشرقين، وعدم تبرع المسلمين.

الجهود الموسوعية للباحث :

تتلخص في ٧١ بحثاً ومؤلفاً عدا الملف الفقهي لجريدة "الشرق الأوسط" الدولية.

١- تفسير القرآن للناشئين (في ثلاثين جزءاً في علبة واحدة) وهي محاولة للجمع بين حفظ القرآن وفقهه خروجاً من دائرة الحفظ التقليدي (بالاشتراك مع الأستاذ/ علي عبد المحسن جبر).

٢- قام الباحث بتحرير (الملف الفقهي لجريدة الشرق الأوسط الدولية) باب يومي لمدة خمس سنوات، (١٩٨٢- ١٩٨٧م) ولذيوع الباب نتيجة عرض الفقه بطريقة حية، أصدرت المؤسسة ملفاته في ثلاثة عشر كتاباً.

٣- أشرف على عمل موسوعة في نحو عشرة آلاف صفحة للتاريخ الإسلامي عبر العصور، وأنجز منذ عدة أعوام لسمو الأمير الدكتور/ سعود بن سلمان بن محمد آل سعود بالرياض (وهي قيد المراجعة والطبع)... وقد اشترك في إعدادها نحو ستين مؤرخا ومفكرا من عدد كبير من البلاد العربية، وأسهم فيها الباحث بمواد متعددة، إلى جانب قيامه بالإشراف العلمي عليها، وإنجازها.

٤- إنجاز موسوعة موجزة في حدود (٨٠٠ صفحة) للجامعة الأمريكية المفتوحة، بالتعاون مع مساعدين له من الباحثين في التاريخ، وقد تم طبعها.

٥- قيامه - بالاشتراك - مع أربعة من الأساتذة بالإشراف العلمي على (موسوعة الإدارة العربية الإسلامية) لحساب المنظمة العربية للتنمية الإدارية التابعة لجامعة الدول العربية، في ثلاثة عشر جزءا (٧ مجلدات) وكان مسئولا ومسهما رئيسا في إعداد مواد (إدارة الجيش والقضاء والشرطة وإدارة التنظيمات المهنية والحرفية العربية الإسلامية (النقابات) في الحضارة الإسلامية عبر مراحل التاريخ الإسلامي).

٦- أشرف على إنجاز معجم مصطلحات علوم القرآن لحساب دار الوفاء، بالقاهرة، وأسهم بإعداد بعض المواد العلمية، فضلا عن مسئوليته عن إنجازها.

٧- كان رئيس تحرير (بالاشتراك) لمجلة كلية العلوم الاجتماعية - الصادرة عن الكلية (جامعة الإمام/ محمد بن سعود الإسلامية بالرياض) لعدة سنوات.

٨- وكان رئيس تحرير (بالاشتراك) (مع الدكتور/ ظفر الإسلام خان - في دلهي - بالهند) لمجلة التاريخ الإسلامي التي صدرت عدة سنوات بطريقة دورية.

وقد ألف ٦٥ كتابا، أما مراجعاته ومقدماته العلمية فهي في السطور الآتية:

بين الإنسان الطبيعي والإنسان الصناعي، للمفكر الهندي / محمد تقي الأميني.

مراجعة وتقديم كتاب المفكر الهندي / محمد تقي الأميني (سنن الله في الرقي والانحطاط).

مراجعة كتاب المفكر الهندى / وحيد الدين خان: (الدين في مواجهة العلم)، و(رسالة برنامج جديد للعمل الإسلامي).

مراجعة كتاب وحيد الدين خان (قضية البعث الإسلامي).

تقديم علمي - مع التحليل - لكتاب عن العلامة / (عبد الحي الحسني (والد الشيخ /أبي الحسن الندوي) فى أربع عشرة صفحة.

تقديم علمي لكتاب الشيخ / محمد الغزالي (صيحة تحذير من دعاة التنصير) "في عشر صفحات".

كتب عشرات البحوث الأكاديمية والإبداعية حول الفتح الإسلامي لمصر، ومسيرة مصر الإسلامية، وطبيعة التاريخ الإسلامي البشرية والمثالية، وفلسفة التاريخ في أفكار بديع النورسي، وأثر العرب والمسلمين في الحضارة الإنسانية، والتاريخ الحضاري الإسلامي للقارة الهندية، ومشكلات التعليم في افريقيا جنوب الصحراء... وغيرها وألقى كثيرا منها في الإذاعة.

البعث الإسلامي
مجلة إسلامية شهرية جامعة
ص ب ٩٣، ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)
الفاكس: ٠٥٢٢- ٢٧٨٧٧١٠

AL-BAAS-EL-ISLAMI
NADWATUL ULAMA, P.O. BOX. 93
LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)
MOB.091-9415546882
FAX:0091-522,2741221-2741231

رسالة إخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم! حفظ الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة، نشكركم على ما تتابعونه من قراءة: "البعث الإسلامي" وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة، تصدر من ٥٦ عاما بالاستمرار، وهي تجتاز الآن عامها السابع والخمسين - والحمد لله - ونرجو الله سبحانه أن يوفر لإتمامه جميع الوسائل اللازمة ويجعل التوفيق حليف العمل والعاملين.

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جدا، وبتكلفة باهظة، ولاسيما بعد تضاعف أجرة البريد فهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي وشيء من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول.

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك باسم:

AL-BAAS-EL-ISLAMI A/C 10863759846 STATE BANK OF INDIA

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم المخلص

سعيد الأعظمي الندوي

رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي

مكتب "البعث الإسلامي" مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء، ص ب ٩٣، لكناؤ - ٢٢٦٠٠٧ (الهند)

بالعنوان التالي:

مكتب "البعث الإسلامي" مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء، ص ب ٩٣، لكناؤ - ٢٢٦٠٠٧ (الهند)